الفصل الثالث

الإمام الذهبى بين معاصريه في نقد متن الحديث

القرن الثامن الهجري

عرف القرن الثامن الهجري نشاطًا علميًّا ملحوظًا ، على خلاف ما نكبت به بلاد الإسلام من غزو صليبي تترى في آن واحد ، إلا أن النشاط العلمي كان في ازدياد ، بتشجيع من حكام المماليك ، ـ الذين رأوا تقريب العلماء والإغداق عليهم مما يساعد على بسط نفوذهم وإضفاء الشرعية على حكمهم ـ تارة ، وبدافع غيرة العلماء على ذلك التراث الذي خربته أيدي التتار البربرية ، وجنت عليه أحقاد الصليبية الحاقدة ، وأولئك العلماء الذين أجهزت عليهم يد المحتلين من أعداء الحضارة ، ودعاة التخريب .

وعلى الرغم مما عاناه المسلمون في تلك الفترة العصيبة ؛ إلا أن ذلك قد خلف في القلوب حركة من ثبات ، ويقظة من غفلة ، وأشعل فيهم روح الجهاد ، ودفعهم إلى العودة إلى طريق الصلاح والاستقامة .

وكذلك كان لهذه الحروب أثر في إكساب الكثير من العلماء لصفة الجرأة في الحق ، وعدم الخوف في الله لومة لائم ، فوقف الكثير من العلماء في وجه الحكام مواقف صارمة ، لا تعرف مهادنة ، ولا تتعامل بنفاق كالإمام النووي وابن عبد السلام ، وكذلك ولدت تلك الأحداث الجرأة في الاجتهاد الفقهي ، ومخالفة الآراء السابقة ، ونبذ التقليد ، والصمود أمام تبعات ذلك الاجتهاد ، وهذا الخروج عن الأعراف السابقة ، ومخالفة تيار التقليد ، كما حدث مع الحافظ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله .

● **حركة نقد المتن في القرن الثامن الهجري :**

لقد نشأ نقد المتن مع وجود ذلك الدين ؛ إذ ديننا الحنيف يقوم على منهجية رائدة ، قد أقام القرآن الكريم أساسها ، ووضع النبي ﷺ أولى لبناتها ، ولم يزل علماء الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم جيلا بعد جيل يعملون على تشييد ذلك الصرح وإحكام هذا البناء .

غير أن القرن الثامن الهجري قد امتاز عن غيره من القرون بالتوسع في ذلك ، واتسم نقاد ذلك القرن بالجرأة العلمية في نقد المتون ، بينما وقف الكثيرون لا يتجاسرون على الاقتراب من ذلك الميدان ، وبخاصة إذا تعلق المتن بأحد الصحيحين ، فكثيرًا ما يتوقف الناقد عن النقد خشية النقد .

لقد كان للحركة العلمية الهائلة ، وانتشار دور العلم هنا وهناك ، مع تضافر جهود الأمراء والأعيان والعلماء ، وما ولدته الأحداث الخارجية والحروب الطاحنة من انتشار روح الجرأة في الحق : أثر كبير في ذلك الميدان .

أضف إلى ذلك ما تميزت به مدرسة ابن تيمية التي ضمت إلى جانب الشيخ نفسه تلامذته : الذهبي ، وابن القيم ، وابن كثير ، وتأثير ابن تيمية بثقافته الواسعة ، وعلومه الغزيرة ، وخلقه العظيم ، وتواضعه الجم ، وهمته العالية ، وجهاده باليد واللسان ، وجرأته في الحق : على أولئك التلاميذ .

وإن كان هؤلاء التلاميذ لم يسلموا بكل آراء ابن تيمية إلا أنهم في الكثير الغالب قد تأثروا بفكره ، وأبهرتهم شخصيته ، وأعجبوا بسعة علمه .

إن هذه المدرسة تمثل فكرًا رائدًا في مجال الطرح الحديثي ، وإن كان ابن تيمية والذهبي وابن كثير وابن القيم وقد اهتموا بنقد المتن ، وظهر ذلك جليًا في مصنفاتهم فإن ابن رجب الحنبلي رحمه الله قد قام أيضًا بعمل رائد في نصر مدرسة المتقدمين في الحديث ، وتعالى على لغة التقليد والجمود التي سبقت ذلك العصر ، وارتفع عن صمت الجاهل ، وخشية المتردد ، وذلك في كتابه القيم ؛ شرح علل الترمذي وغيره .

ومازال الله تعالى يهيئ لهذه الأمة من يحمل الراية ، ويجدد العهد ، ويعلي الصرح ، ويزيل الكبوة ، ويتجنب العثرة .

والعلم رحم بين أهله ، وكل قرن قد سلم تبعة ما لديه للقرن الذي يليه ، غير أن من القرون ما تهيئ له من الظروف ما جعل علماءه يتميزون في جانب أكثر من غيره ، وهكذا لتستكمل المسيرة .

● **الحافظ الذهبي رحمه الله**

الحافظ الذهبي من جهابذة المحدثين ، وصفوة النقاد ، ممن جمع الورع والديانة ، مع التثبت والإنصاف ، والشجاعة والإقدام ، والعلم والمعرفة للحديث النبوي الشريف سندا ومتنا .

ونقد متن الحديث لا يتطرق إليه كل من سار في ركب المحدثين ، أو ارتدى زي الرواة ، بل لا يتطلع إليه كل محدث ، فالأمر شاق ، والمسئولية جسيمة ، ودون الحكم على المتن دراسات ودراسات ، وقد اضطلع الحافظ الذهبي بذلك وأدى ضريبته ، من وقته وجهده .

اهتم الحافظ الذهبي بالنقد الإيجابي للمتن ، فشرح غريب اللغة ، وشرح الحديث ، واهتم بدفع التعارض عن متون الأحاديث النبوية ، ودافع عن الأحاديث الصحيحة التي انتقدت لسوء معرفة معناها .

واعتنى كذلك بالنقد السلبي ، مبينًا دلائل ضعف متن الحديث الشريف ، من معارضة للصحيح ، ومخالفة للتاريخ ، وركاكة وطول ، ومشابهة أقوال القصاص والطرقية ، وخلاف المعقول ، ومباينة المعهود ، إلى غير ذلك من القرائن ، كخلاف مقام التنزيه ، وخلاف المعلوم عن الراوي ، وتكليف ما لا يطاق ، وشهادة الإسناد .

وأبرز الحافظ الذهبي أثر الوهم في اختلال ضبط الحديث الشريف ، وكيف تأثرت المتون بطرق التحمل والأداء ، وعدد الحافظ الذهبي مظاهر ذلك الوهم ، كرفع موقوف ، وإقرار زيادة غير ثابتة ، أو تصحيف وإدراج ، ووهم في أعلام المتن .

وليست المتون المنتقدة عند الذهبي رحمه الله على درجة سواء ؛ إذ منها ما يصلح للتقوية وينجبر بالمتابعات والشواهد ، ومنها ما لا يرقى لذلك فتعدم معه الحلية ؛ لذا فقد عبر في نقده للمتون بعبارات متباينة وألفاظ مختلفة تتناسب مع كل رواية .

● **الحافظ ابن تيمية رحمه الله**

الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ الأصولي الزاهد ، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية النميري الحراني (٦٦١- ٧٢٨هـ) اشتهر بشيخ الإسلام .

اشتهر بالنهم العلمي والحفظ النادر ، وأذن له بالفتوى قبل العشرين وقام بالتدريس بعد وفاة والده ، فقام بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة ، فاشتهر أمره ، وبعد صيته في العالم[1] .

---

(١) فوات الوفيات ، ص٥٨ .

وقد أجمع أهل عصره على الثناء عليه ، واعترف بفضله الموافق والمخالف ، فقد جمع قوة الإيمان ، والإخلاص في طلب الحق والتخلص من أدران الهوى ، مع الورع والزهد ، وكثرة العبادة والابتهال ، والحلم والعفو ، مع ثبات وجرأة في قول الحق ، والموضوعية والإنصاف ، مهيبًا جوادًا ، معظمًا للسنة وناصرًا لها .

ولم يعرف ابن تيمية المداهنة ، أو الالتواء مع مصادر القوة ، بل صدع بالحق غير عابئ بمخالفيه من العلماء ، وعدم الترفق بخصومه مما دفع به إلى ظلمات السجون وغياهب المعتقلات ، وأنزل الأذى بتلامذته ومحبيه ومصادرة كتبهم ومنع نشر فتاواهم .

وكان رحمه الله غزير العلوم ، واسع المعارف ، خاليًا من المناصب والوظائف ، متفرغًا للاطلاع والتصنيف .

وقد لاقى ابن تيمية كثيرًا من المدح والقدح ، فارتفع به بعضهم إلى مصاف أعلى من الأئمة الأربعة ، وهبط به آخرون لدرك الزندقة والكفر ، والحق وسط بين طرفين ، وعدل بين جورين .

وينبغي لمن رام الحديث عن العلماء أن يتجرد من الهوى ، وأن يراعي أن الخطأ فطرة بشرية فلا يترك عالمًا لزلة ، فالله يعفو عن الزلل ، وأن يجافي التعصب أو التقليد ، ملتمسًا الأعذار لمن ندر خطؤه ، آخذًا صواب العلماء ، تاركًا أوهامهم ، غير متصيد لخطأ ، ومن أعدل ما قيل فيه ما نقله عنه تلميذه ورفيق دربه الحافظ الذهبي إذ قال فيه :

« كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين ، والزهاد والأفراد ، والشجعان الكبار ، والكرماء الأجواد ، أثنى عليه الموافق والمخالف ، وسارت بتصانيفه الركبان »[١] .

وقال في موضع آخر : « فوالله ما مقلت عيني مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، كان إمامًا متبحرًا في علوم الديانة ، صحيح الذهن ، سريع الإدراك ، سيال الفهم ، كثير المحاسن ، موصوفًا بفرط الشجاعة والكرم ، فارغًا عن شهوات المأكل والملبس والجماع ، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه »[٢] .

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١٤٩٦/٤ ، ١٤٩٧).

(٢) الذهبي ، المعجم المختص ص٢٥ ، ٢٦ .

ومعارضة آراء ابن تيمية ليست لقصوره فهو «لا يؤتى من سوء فهم ؛ فإن له من الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم ؛ فإنه بحر زخار ، ولا متلاعبًا بالدين ، ولا ينفرد بمسائله بالتشهي»[١].

والمسائل التي أخذت عليه رحمه الله ليست كثيرة فقد «انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها ، وهي مغمورة في بحر علمه . . . وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك»[٢].

ولكن الحافظ ابن تيمية لم يكن يتلاطف مع خصومه أو يداريهم مما أوغر صدورهم ، وجعلهم يسعون إلى السلطان لينالوا منه «وسجن غير مرة ليفتر عن خصومه ، ويقصر عن بسط لسانه وقلمه ، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح»[٣].

ولعل ابن تيمية إن تلاطف مع خصومه وقلل من حدة مخالفته لاجتمع عليه العلماء ، قال الذهبي : «لو لاطف خصومه لكان عليه كلمة إجماع ، فإن كبارهم خاضعون لعلومه ، معترفون بتفوقه»[٤].

وابن تيمية رحمه الله من أكابر الحفاظ في القرن الثامن الهجري وله مشاركات واسعة واجتهادات تشهد له بعلو الكعب ورسوخ القدم في ذلك العلم ، وإذا كان ابن تيمية من كبار محدثي القرن الثامن عمومًا ، فإنه من حاملي لواء نقد المتن على الخصوص ، وله في ذلك دربة واجتهاد وشجاعة وإقدام ، وورع وإنصاف .

● **الاتجاه النظري لنقد المتن عند ابن تيمية :**

للحافظ ابن تيمية مشاركات متعمقة في ذلك الميدان ، ولم يكتف رحمه الله بممارسة النقد من خلال الاتجاهات العملية أو الأطر السلبية ، وإنما كان من أصحاب الاتجاهات النظرية والتقعيدية لذلك الفرع من علوم الحديث ، ومما اهتم به الحافظ ابن تيمية :

---

(١) ابن حجر ، الدرر الكامنة (١٦١/١).
(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١٤٩٧/٤).
(٣) الذهبي ، المعجم المختص ص٢٦ .
(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة (١٦١/١).

١- الرواية بالمعنى :

الحافظ ابن تيمية لا يرى الفقه من شروط الرواية على الإطلاق ، ولكن إذا روي الحديث بالمعنى فلا بد من اشتراط الفقه في الراوي حتى لا يحيل معنى الحديث ، فلعله يجعل الحلال حرامًا ، والحرام حلالاً .

قال ابن تيمية : « المحدث إذا حفظ اللفظ الذي سمعه لم يضره أن لا يكون فقيهًا . . . وإنما يحتاج في الرواية إلى الفقه ، إذا كان قد روى بالمعنى ، فأخاف أن غير الفقيه يغير المعنى وهو لا يدري »[١].

٢- أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب :

اشتهر عن المحدثين التشدد في أحاديث الأحكام والتساهل في أسانيد أحاديث الترغيب والترهيب ، والحافظ ابن تيمية يرى ذلك في العمل الذي ثبت أنه مما يحبه الله أو يبغضه بنص صحيح ، ثم تأتي الأحاديث الضعيفة ـ لا الموضوعة ـ لتحدد مقادير الثواب أو العقاب « بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب ، أو تخاف ذلك العقاب كرجل يعلم أن التجارة تربح . لكن بلغه أنها تربح ربحًا كثيرًا ، فهذا إن صدق نفعه ، وإن كذب لم يضره »[٢].

وجعل ابن تيمية ذلك نظير قول النبي ﷺ : « **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » مع إرشاده ﷺ ألا نصدقهم و نكذبهم .

على أن ذلك ما دامت الأحاديث في نطاق درجات الضعف ، أما « ما علم أنه باطل موضوع لم يجز الالتفات إليه ، فإن الكذب لا يفيد شيئًا »[٣].

وكذلك إذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديرًا أو تحديدًا ، مثل صلاة في وقت معين وقراءة محددة وصفة خاصة فإن ذلك لا يجوز ؛ لأن استحباب ذلك الوصف وتلك الكيفية لم يثبت بدليل شرعي[٤].

٣- التواتر :

تواتر الحديث عن النبي ﷺ قد حدد البعض بعدد معين ، غير أن ابن تيمية يرى هذه الأعداد لا دليل عليها ، ويرى التواتر صفة لما حصل به العلم ضرورة ؛ إذ

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (٤/٥٣٤).
(٢) المصدر السابق (١٨/٦٦).
(٣) المصدر السابق (١٨/٦٦ ، ٦٧).
(٤) المصدر السابق (١٨/٦٧).

حدوث العلم ضرورة قد يكون لكثرة المخبرين ، أو لضبطهم وإتقانهم والوثوق بدينهم ، وقد يكون ذلك لاتحاد الحديث مع العلم بعدم المواطأة ، وقد يحصل العلم برواية الحديث بحضرة جماعة شاركوا المخبر في العلم ولم يكذبه منهم أحد ، وهؤلاء يمتنع عليهم التواطؤ على الكتمان ، وكذلك هناك تواتر عام وخاص ، فأهل العلم قد تواتر عندهم ما لم يتواتر عند العامة ، وهكذا[١].

٤- رواية الموضوعات :

الحافظ ابن تيمية ينادي بوأد الأحاديث الموضوعة وعدم رواية الروايات المكذوبة ، ولا ينبغي ذكرها إلا لهتك حالها وبيان أمرها ، حتى لا تروج على العامة ، وليحذر من تداولها المسلمون ، يقول ابن تيمية : « فهذه الأحاديث وأمثالها مما هو كذب وفرية عند أهل العلم . . . ليس لأحد أن يرويها ويحدث بها إلا على وجه البيان لكونها كذبًا . . . وعلى ولاة الأمور أن يمنعوا من التحدث بها في كل مكان ، ومن أصر على ذلك فإنه يعاقب العقوبة البليغة . . . »[٢].

٥- الاهتمام ببيان الأحاديث المشتهرة :

اهتم الحافظ ابن تيمية بنقد الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، والتي ليست من قول النبي ﷺ ، فكانت رسالته أحاديث القصاص لها السبق في ذلك الميدان وقد اعتمد عليها من ألف في ذلك الميدان بعده . يقول دكتور محمد الصباغ محقق هذه الرسالة : « تبين لي أنها كانت أصلاً اعتمد عليه السيوطي والسخاوي وغيرهما ممن ألف في الأحاديث المشتهرة على الألسنة . . . ولقد أوردت كتب الأحاديث الشائعة هذه الأحاديث كلها . . . ونقلت عن ابن تيمية كثيرًا من عباراته الواردة في هذه الرسالة »[٣].

٦- مكانة الصحيحين :

الصحيحان أجل كتب الإسلام ، وأصح مصنفات الحديث ، وهما رأس مال المحدثين والفقهاء ، وإليهما يتحاكم المتناظرون ، ومع ذلك فإنهما لم يسلما من

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (١٨/٥٠ ، ٥١). (٢) المصدر السابق (١٨/٣٧١).

(٣) ابن تيمية ، أحاديث القصاص ، مقدمة المحقق ص١٥ ، تحقيق دكتور محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، ط . ١ ، ١٣٩٢هـ-١٩٨٥م .

الخطأ النادر قال ابن تيمية : « فإنه لا يسم كتاب من الغلط إلا القرآن ، وأجل ما يوجد في الصحة كتاب البخاري ، وما فيه متن يعرف أنه غلط على الصاحب ، لكن في بعض ألفاظ الحديث ما هو غلط ، وقد بين البخاري في نفس صحيحة ما بين غلط هذا الراوي ، كما بين اختلاف الرواة في ثمن بعير جابر . وفيه عن بعض الصحابة ما يقال إنه غلط .

كما فيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، والمشهور عند أكثر الناس أنه تزوجها حلالاً ، وفيه عن أسامة أن النبي ﷺ لم يصل في البيت ، وفيه عن بلال أنه صلى فيه ، وهذا أصح عند العلماء .

وأما مسلم ففيه ألفاظ عرف أنها غلط ، كما فيه : « خلق الله التربة يوم السبت » وقد بين البخاري أن هذا غلط ، وأن هذا من كلام كعب ، وفيه أن النبي ﷺ صلى الكسوف بثلاث ركعات في كل ركعة ، والصواب أنه لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة ، وفيه أن أبا سفيان سأله التزوج بأم حبيبة ، وهذا غلط »[1] ، ذلك على سبيل النادر أما جمهور أحاديث الصحيحين « فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين ، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث »[2].

● **نقد المتن (الاتجاه التطبيقي) عند ابن تيمية :**

وفي الجانب التطبيقي يهتم الحافظ ابن تيمية بنقد متن الحديث نقدًا إيجابيًا وآخر سلبيًا .

١- **النقد الإيجابي :** يكشف شيخ الإسلام معنى الحديث إذا كان هناك بعض الغموض أو الإشكال في مضمونه ، وقد يحتمل النص معانٍ تخفى على البعض ويكون ذلك سببًا في استشكاله ، فيقوم الحافظ ببيان ذلك ، مزيلاً الغموض عن ذلك المتن ومدافعًا عن صحته .

ومن ذلك حديث « مثل أمتي كمثل الغيث ، لا يدري أوله خير أو آخره » ، فذلك الحديث قد ضعفه البعض ، وصححه ابن تيمية قائلاً : « ومن المعلوم أن الله

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (١٨/٧٢ ، ٧٣).

(٢) المصدر السابق (١٨/١٧).

يعلم أيهما خير إذا كان الأمر كذلك ، وإنما ينفي العلم عن المخلوق ، لا عن الخالق ؛ لأن المقصود التشابه والتقارب ، وما كان كذلك اشتبه على المخلوق أيهما خير »[١].

ومن ذلك حديث : « ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته »[٢] ، وقد رد ذلك الحديث طائفة[٣] وقالوا : إن الله لا يوصف بالتردد ، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور ، والله أعلم بالعواقب .

قال ابن تيمية : « إن الله ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . . . فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب ، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد ، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ، ويكرهه لما فيه من المفسدة لجهله . . . وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه »[٤].

ويحمل الحافظ ابن تيمية التردد المذكور في الحديث على ذلك المعنى ، فالعبد المؤمن الذي ظل يتقرب إلى الله بأنواع النوافل وشتى العبادات حتى صار محبوبًا للحق جل وعلا ، حتى صار العبد يحب ما أراد الله ويبغض ما يسخطه ، فأحبه الله سبحانه وتعالى لذلك وكره أن يسوءه .

والعبد كاره للموت ، ولكن الله قضى به على كل مخلوق ، قال ابن تيمية : « والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت ، فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه ، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه ، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، وهي المساءة التي تحصل له بالموت ، فصار الموت مرادًا للحق من وجه ، مكروهًا من وجه »[٥].

ومن ذلك حديث : « إن الميت يعذب ببكاء أهله » فقد أنكر ذلك الحديث طوائف من السلف والخلف ، واعتقدوا أن ذلك من باب تعذيب الإنسان بذنب غيره ، فهو مخالف لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام:١٦٤) ، ومن

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (١٨/٣٠٦).

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع (١١/٣٤١).

(٣) منهم الخطابي كما في الأسماء والصفات للبيهقي ص(٢٤٢).

(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (١٨/١٣٠).

(٥) المصدر السابق (١٨/١٣٠ ، ١٣١) بتصرف .

الذين أنكروا هذا الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والإمام الشافعي رحمه الله .

وقد اعترضت السيدة عائشة على مخالفة ذلك الحديث لظاهر القرآن الكريم ، وأضاف الشافعي رحمه الله إلى ذلك دلالة السنة ؛ لقول النبي ﷺ لرجل : « **ابنك هذا؟** قال : نعم ، **قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه** »[١] .

ويرى ابن تيمية أن الحديث لا يتعارض مع القرآن الكريم ولا السنة المطهرة لما يلي :

١- ليس في الحديث ما ينفي العذاب عن النائحة إن لم تتب مما تفعل .

٢- أن هناك فارقًا بين العقاب والعذاب ، فالعقاب يستوجب ألمًا ينزل بالإنسان نتيجة لفعل قدمه ، أما العذاب فإنه ألم يستشعره الإنسان ، وهو يعاني في سبيل شيء ربما كان طيبًا ... فالعذاب أعم من العقاب ، فإن العذاب هو الألم ، وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقابًا له على ذلك السبب ، فإن النبي ﷺ قال : « **السفر قطعة من العذاب** » فسمى السفر عذابًا ، وليس عقابًا على ذنب[٢] .

٣- كثيرًا ما يستشعر الإنسان الضيق والألم في حياته نتيجة لما يصادفه من أمور مكروهة مثل الأصوات الكريهة ، ولصور القبيحة ، والروائح الخبيثة ، فكيف ينكر أن يعذب الميت بالنياحة ، وإن لم تكن عملاً له يعاقب عليه »[٣] .

٤- أن النياحة مجرد سبب للعذاب ، والسبب قد يندفع بما يعارضه من قوة الكرامة والعمل الصالح »[٤] .

ومن ذلك الحديث القدسي : « عبدي مرضت فلم تعدني ، فيقول : رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض ، فلو عدته لوجدتني عنده ، عبدي جعت فلم تطعمني ، فيقول : رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول : أما علمت أن عبدي فلانًا جاع ، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي »[٥] .

---

(١) الشافعي ، اختلاف الحديث مع مختصر المزني ص٥٣٧ .

(٢،٣) ابن تيمية ، الفتاوى (٣٤/٣٧٠).

(٤) المصدر السابق ، وانظر توثيق متون السنة عند ابن تيمية ص٥٢- ٥٨ .

(٥) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل عيادة المريض ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٥٦٩).

وقد ادعى المعتزلة ضعف ذلك الحديث بناءً على مخالفته للعقل وللسمع : لأنه يدل على جواز نسبة الجوع والمرض إلى الخالق سبحانه ، وهذا محال من ناحية العقل الذي لا يتصور الله إلا خاليًا من كل نقص ومبرءًا من كل عيب .

ولكن الحافظ ابن تيمية يرى في دعوى المعتزلة قعقعة ليست وراءها شيء ، وزبدًا لا يمكث في الأرض ، « فإن الحديث قد فسره المتكلم به ، وبين مراده بيانًا زالت به كل شبهة ، وبين فيه أن العبد هو الذي جاع وأكل ومرض وعاده العواد ، وأن الله سبحانه لم يأكل ، ولم يُعَد »[1] .

وهكذا فإن لفظ الحديث ناطق بأن الله تعالى يحث المؤمنين على اصطناع الخير وبذل المعروف ، ونسب ذلك لنفسه سبحانه ليبادر المؤمنون إلى العطاء والتلاحم فيما بينهم ، وتقوية الروابط الاجتماعية فيما بينهم من عيادة مريض ، أو كفالة محتاج ، بما في ذلك من سد جوعة أو مسح دمعة .

● **النقد السلبي :**

انتقد الحافظ ابن تيمية الكثير من المتون الواهية والضعيفة ، وتصدى لظاهرة انتشار القصاص الذين تكسبوا بوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ في الزهد والرقائق تارة ، وفي مدح آل البيت أخرى ، مع الكثير من الخرافات السمجة والحكايات الباطلة التي يشهد القلب بوضعها ، وتقوم الدلائل على كذبها وزيفها ، واعتمد في ذلك على قرائن تقوي ذلك النقد وترجح صحة هذا الاجتهاد ، ومن ذلك :

١- خلاف القرآن الكريم :

الحديث الشريف لا يتعارض مع القرآن الكريم ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يتحدث بباطل ، أو يعارض الوحي المتلو ، فما السنة إلا وحي من عند الله ، ولا ينطق رسول الله ﷺ عن الهوى .

ومن ذلك رواية :« سب صحابتي ذنب لا يغفر » ومع أنه لا يفعل ذلك إلا شقي ، قد غطى قلبه الران وحجبت غشاوة الهوى على بصره وبصيرته ، إلا أن غلق باب

---

(١) ابن تيمية ، درء تعارض العقل (١/١٥٠) ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط . ١ ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

التوبة أمام داعل ذلك ، وادعاء أن ذنبًا ـ وإن عظم ـ لا يغفره الله ، فإن ذلك يناقض صريح القرآن والمعلوم من الدين بالضرورة ، قال ابن تيمية : « هذا كذب على النبي ﷺ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:٤٨)[١] .

ومن ذلك حديث : « من وقف بعرفات ، وظن أن الله لا يغفر له ، لا غفر الله له »، والحديث شنيع اللفظ ، وإن كان يغلب جانب الرجاء إلا أن مقام الخوف من الله يناسب المؤمن في حال العبادة ووقت العمل ، أما جانب الرجاء فيحسن أن يكون عند انقطاع الأجل ومفارقة العمل ، وقاء الله سبحانه وتعالى ، قال ابن تيمية : « معناه مخالف للكتاب والسنة ، فإنه لو وقف الرجل بعرفات خائفًا من الله أن لا يغفر له ذنوبه لكونها كبائر ، لم يقل إن الله لا يغفر له . . . لكن إذا تاب العبد من الذنب غفر الله له ، شركًا كان أو غير شرك »[٢] .

فمن قدم جانب الخوف ، وعظم عليه تفريطه في حق الله ، وذم نفسه التي أذنبت ووجدها غير أهل لعفو الله ومغفرته ، فإنه حري أن يعفو الله عنه ويغفر له .

٢- خلاف السنة الصحيحة :

النبي ﷺ لا يقول الشيء وضده ، ويستحيل في حقه التناقض وهو ﷺ منزهٌ عن ذلك ، لا ينطق عن الهوى ، فمخالفة المتن للثابت الصحيح من سنة النبي ﷺ تعد مغمزًا له وسببًا لرده .

ومن ذلك ما يروى عن النبي ﷺ :« **اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إليَّ ، فأسكني في أحب البقاع إليك** » ، قال ابن تيمية : « هذا باطل ، بل ثبت في الترمذي وغيره أنه قال لمكة : « **والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله** » ، وقال : « **إنك لأحب البلاد إليَّ** » فأخبر أنها أحب البلاد إلى الله وإليه »[٣] ، وفضائل المدينة لا تحتاج إلى التقول على رسول الله ﷺ ، فقد ثبت في فضلها العديد من الأحاديث ، أما كونها أحب إلى الله من مكة ، حيث البيت العتيق ، وبناء إبراهيم ، وصبر إسماعيل ، وجهاد هاجر ، وبعثة محمد ﷺ ، فلا .

---

(١) ابن تيمية ، أحاديث القصاص ص٧٥ .
(٢) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٤٠).
(٣) المصدر السابق (١٨/٢١٧).

ومن ذلك ما ذكر : «أن عليًا ﷺ قاتل الجن في بئر ذات العلم»، قال ابن تيمية : «هذا كذب ، والجن لم تكن لتقاتل الصحابة أصلاً ، ولكن الجن الكفار يقاتلون الجن المؤمنين ، وأما عليٌّ وأمثاله من الصحابة فهم أجل قدرًا من أن يثبت الجن لقتالهم ، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب : «**ما رآك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك**»[1].

فكون معركة قائمة بين الإنس والجن ، مع أن الجن يرون الإنس من حيث لا يرونهم معركة غير متكافئة ، مع أن صالحي الإنس ليس للجن عليهم سلطان ، بل يفرون منهم .

٣- خلاف الإجماع :

الأمة لا تجتمع على ضلالة ، وإن كان الخلاف جائزًا في حقها ، إلا أن الله تعالى قد عصم الأمة من التواطؤ على خطأ ، وخلاف المتن للإجماع يعد من قوادح ذلك المتن .

ومن ذلك ما روى : «من علمك آية من كتاب الله ، فكأنما ملك رقك ، إن شاء باعك ، وإن شاء أعتقك» ، قال ابن تيمية :«ليس هذا في شيء من كتب المسلمين ... بل مخالف لإجماع المسلمين فإن من علم غيره لا يصير له مالكًا ، إن شاء باعه وإن شاء أعتقه . . . والحر المسلم لا يسترق ، وسيد معلم الناس رسول ﷺ علمهم الكتاب والحكمة ، وهو أولى بهم من أنفسهم ، ومع ذلك فهم أحرار ، لم يسترقهم ولم يستعبدهم ؛ بل كان حكمه في أمته الأحرار خلاف حكمه فيما ملكته يمينه ، ولو كان المؤمنات ملكًا له لجاز أن يطأ كل مؤمنة بلا عقد نكاح ، ولكان لمن علم امرأة آية من القرآن أن يطأها بلا نكاح ، وهذا لا يقوله مسلم»[2].

ومن ذلك حديث : «من حج ولم يزرني فقد جفاني» ، قال ابن تيمية : «كذب ، فإن جفاء النبي ﷺ حرام ، وزيارة قبره ليست واجبة باتفاق المسلمين ، ولم يثبت عنه حديث في زيارة قبره . . وقد كره الإمام مالك ، وهو من أعلم الناس بحقوق رسول الله ﷺ ، وبالسنة التي عليها أهل المدينة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٣٦٠).

(٢) المصدر السابق (١٨/٣٤٥).

كره أن يقال : زرت قبر رسول الله ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ ثابتًا عن رسول الله ﷺ ، معروفًا عن علماء المدينة لم يكره مالك ذلك ، أما إذا قال : « سلمت على رسول الله ﷺ ، فهذا لا يكره بالاتفاق »[١] ، بل ذلك مندوب إليه ، حسن فعله ، قام به أكابر الصحابة وفضلاء التابعين .

٤- خلاف التاريخ الثابت :

الحوادث التاريخية الثابتة ، والتي اشتهر ذكرها بين العلماء بذلك الفن ، لا يردها خبر مجهول ، بل ربما يوهم الثقة إذا خالفت روايته لذلك الصحيح الثابت من التاريخ للحوادث ، فخلاف التاريخ من القرائن التي يستند إليها في رد المتن .

ومن ذلك ما روي « أن عمر بن الخطاب ﷺ قتل أباه في المعركة » ، وذلك متن يوحي بقوة إيمان عمر ﷺ حتى أن روابط البنوة والأبوة قد ذابت عنده أمام روابط أخوة الدين والإيمان ، وأنه لم ير حرجًا من قتل ذلك الأب الكافر الذي جاء ليحارب ذلك الدين ، ويعمل على وأد هذه الدعوة في مهدها ، وأمير المؤمنين غني عن أن يبرهن على إيمانه بتلك الأكاذيب والبواطيل .

قال ابن تيمية : « هذا كذب ، فإن أباه مات قبل مبعث النبي ﷺ »[٢] .

ومن ذلك حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ذلك الكتاب الذي أظهره اليهود في عهد الخطيب البغدادي فرده ، ثم عادوا في زمن الحافظ ابن تيمية ليخرجوه مرة ثانية مغشيًّا بالحرير والديباج ، فلما تأمله ابن تيمية بزق عليه وقال : هذا كذب وذلك من وجوه ، ذكرها ابن القيم ، ومنها :

« أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وسعدٌ قد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق ، وفيه أن كاتبه معاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية إنما أسلم عام الفتح .

وكذلك لم تكن الجزية قد شرعت حين فتح خيبر ، ولم يكن الصحابة يعرفونها ، ولا العرب وإنما نزلت بعد عام تبوك »[٣] .

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٤٢).

(٢) المصدر السابق (١٨/١٢٥).

، المنار المنيف ص١٠٢-١٠٥ .

٥- خلاف الواقع :

وعندما تأتي الروايات بخلاف الواقع المعروف لكل ذي عينين ، فإن الناقد لا يقبل تلك المتون ، ويعتمد على مخالفتها للواقع المتواتر معرفته .

ومن ذلك ما روى « أن ملكًا يدعي حبيب بن أبي مالك الذي جاء المدينة وعمل حيلة أخذ بها تسع أنفس من المسلمين ، منهم خالد بن الوليد ، فأنقذهم منه علي ابن أبي طالب » .

قال ابن تيمية : « هذا الاسم غير معروف ، وخالد بن الوليد لم يؤسر أصلاً ، بل أسلم بعد الحديبية ، ومازال منصورًا في حروبه »[١] .

ومنه أن النبي ﷺ بعث المقداد إلى ملك يقال له الملك الخطار . . . فأسره وجاء إلى النبي ﷺ وقاتل في غزاة تبوك . . . وأنه قاتل في الأحزاب . . . وانكسرت الأحزاب قُدَّامه على سبع عشرة فرقة . . . » إلى آخر ذلك الهذيان ، قال ابن تيمية : « ما ذكر عن الملك المسمى بالخطار ، هو من الأكاذيب ، ولا وجود له ، وأما غزاة تبوك فلم يكن بها قتال . . . وكذلك الأحزاب لم يكن فيها اقتتال بين الجيشين ؛ بل كان الأحزاب محاصرين للمسلمين خارج الخندق . . . وكان فيها مناوشة قليلة بين بعض المسلمين ، وبعض الكفار بمنزلة المبارزة . ولم تنكسر الأحزاب بقتال ، ولا قتل منهم ولا من المسلمين عدد له قدر ؛ بل أرسل الله عليهم الريح وأرسل الملائكة . . . »[٢] .

٦- خلاف المعقول :

ومن ذلك ما روي : « كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين » ، قال ابن تيمية : « فهذا نقل باطل نقلاً وعقلاً ، فإن آدم ليس بين الماء والطين ؛ بل الطين ماء وتراب! ولكن كان بين الروح والجسد »[٣] .

٧- خلاف أحوال الوجود :

من قبيح ما يروي « أن عليًّا رضي الله عنه قد عبر العسكر على ساعده في غزوة خيبر ، وأن بغلة قد مرت على ساعده فدعا عليها بقطع النسل » .

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٥٨).
(٢) المصدر السابق (١٨/٣٥٩).
(٣) المصدر السابق (١٨/٣٦٩).

وقد انتقد الحافظ ابن تيمية ذلك ، فعسكر خيبر لم يكن فيه بغلة أصلاً ، ولم يكن مع المسلمين ولا في المدينة أو ما حولها من أرض العرب بغلة إلا البغلة التي أهداها المقوقس عظيم مصر للنبي ﷺ ، ثم قال : « فإن هذا وأمثاله إنما يرويه من هو أجهل الناس بأحوال الصحابة ، ومن هو أجهل الناس بأحوال الوجود ؛ فإن البغلة مازالت عقيمًا »[١].

٨- خلاف مقام التنزيه :

ومن ذلك ما يروى أن النبي ﷺ لما قدم المدينة خرجن بنات النجار بالدفوف ، وهن يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فقال لهن رسول الله ﷺ : « **هزوا غرابيلكم بارك الله فيكم** » ، قال ابن تيمية : « حديث النسوة وضرب الدف في الأفراح صحيح ؛ فقد كان على عهد رسول الله ﷺ ، وأما قوله : « **هزوا غرابيلكم** » هذا لا يعرف عنه »[٢].

فالنبي ﷺ منزه عن الأمر بذلك حال مقدمه ، وهو أعلم بالله من أن يطالب الصحابة بأن يحتفلوا بمقدمه ؛ إذ رسول الله ﷺ كثيرًا ما يهضم حق نفسه .

ومن ذلك ما روي من « بكاء فاطمة على النبي ﷺ حتى أقلقت أهل المدينة وأخرجوها إلى بيوت الأحزان » ، قال ابن تيمية : « ما يروي هذا إلا جاهل ، أو من قصده أن يسب فاطمة والصحابة رضي لله عنهم ، بنقل مثل هذا الفعل الذي نزه الله فاطمة والصحابة عنه »[٣].

ومن ذلك ما يروى عمر رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ وأبو بكر يتحدثان ، وكنت كالزنجي بينهم » .

قال ابن تيمية : « هذا كذب مختلق »[٤] فعمر الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، وأعز به الإسلام ، ونزل الوحي يؤيد أقوالاً كثيرة له ، وكثيرًا ما كان

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٦١).
(٢) المصدر السابق (١٨/١٢٤).
(٣) المصدر السابق (١٨/٣٦٦).
(٤) المصدر السابق (١٨/٣٣٩).

رسول الله ﷺ يقول : «أنا وأبو بكر وعمر» فكيف يروي أنه كالزنجي بينهما ، الفاروق رضي الله عنه منزه عن ذلك .

٩- موافقة الفرق والطوائف :

يتجرأ البعض بدافع من الرغبة في نصرة فرقته وطائفته ، حتى يتقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ، يدعم بذلك قوله ، ويدافع به عن رأيه ، وينصر نحلته .

ومن ذلك ما روي : «أول ما خلق الله العقل ، قال له أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك . . . » ، قال ابن تيمية : «كذب موضوع عند أهل العلم بالحديث ، ليس هو في شيء من كتب الإسلام المعتمدة . . . لكن المتفلسفة القائلون بقدم العالم أتباع أرسطو ، هم ومن سلك سبيلهم من باطنية الشيعة والمتصوفة والمتكلمة رووه أول ما خُلق الله العقل ، بالضم ؛ ليكون ذلك حجة لمذهبهم في أن أول المبدعات هو العقل الأول ، وعند أولئك المتفلسفة الباطنية أن جميع العالم صدر عن العقل الأول»[(١)].

ومن ذلك حديث غديرخم وفيه : «من كنت مولاه ، فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . . . وانصر من نصره ، واخذل من خذله» .

قال ابن تيمية : «نقل النص على خلافة علي ، إنا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة ، فإن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح ، فضلاً عن أن يكون متواترًا ، ولا نقل أن أحدًا ذكره على جهة الخفاء ، مع تنازل الناس في الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة ، وحين موت عمر ، وحين جعل الأمر شورى بينهم في ستة ، ثم لما قتل عثمان واختلف الناس على عليٍّ ، فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على عليٍّ نصًّا جليًّا قاطعًا للعذر ، وعلمه المسلمون لكان من المعلوم بالضرورة أنه لا بد أن ينقله الناس نقله مثله ، وإنه لا بد أن يذكره كثير من الناس ، بل أكثرهم في مثل هذه المواطن التي تتوافر الهمم على ذكره فيها غاية التوفر ، فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضي انتفاء ما يعلم أنه ملزوم»[(٢)].

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٣٧ ، ٣٣٨). (٢) ابن تيمية ، منهاج السنة (٤/١١٨).

١٠- المبالغة :

كثيرًا ما يريد المادحون نشر فضائل الممدوح ، فتأسرهم المبالغات ، وتذهب بهم المزايدات كل مذهب ، ولعل بعضهم يقسم أن ممدوحه يحفظ أربعين جزءًا من القرآن الكريم!! أو يصلي العشاء ست ركعات!!

ومن ذلك وصف قوة علي ﷺ ، فقد روى « أنه عندما قتل مرحبًا اليهودي كانت البيضة التي على رأس مرحب من رخام ، وأن ضربته قسمت الفارس وفرسه ، ونزلت إلى الأرض » ، قال ابن تيمية : « هذا كله كذب ، ولم ينقل مثل هذا أهل العلم بالمغازي والسير إنما ينقله الجهال والكذابون »[١].

ومن ذلك أن عليًا « شرب من سرة النبي ﷺ ، فدرى علم الأولين والآخرين » .

قال ابن تيمية : « من الأكاذيب ، فإن العلم الذي تعلم علي من النبي ﷺ كان حاصلاً قبل موته ، فلم يكن سببه شرب ماء السرة . . . ولا كان أحد من الصحابة ، لا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ولا غيرهم يعلم علم الأولين والآخرين »[٢].

ومن ذلك ما روي « أن سيف ذو الفقار نزل من السماء وحارب به علي ، وأنه كان عصا موسى ، وسفينة نوح ، وخاتم سليمان » ، قال ابن تيمية : « ذو الفقار لم يكن سيفًا لعلي!! ولكن كان سيفًا لأبي جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر ، وكان سيفًا من السيوف المعدنية ، ولم ينزل من السماء سيف . . . وأما قول القائل : إنه كان عصا موسى وسفينة نوح ، وخاتم سليمان فهذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، وهو بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء »[٣].

١١- مخالفة علماء الحديث :

إذا أتى الحديث مخالفًا علماء الأثر - وهم أهل التخصص - فإن أهل مكة أدرى بشعابها ، وهم بفجاجها أعلم ، فأعط لقوس باريها ، فإن المحدثين لا يغيب عن مجموعهم سنة صحيحة عن النبي ﷺ ، وحديث لا يعرفه المحدثون ، إنما يأتي عن بعض المجهولين أو المتلطخة قلوبهم بهوى ، يطعن فيه النقاد .

(١،٢) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٦٣). (٣) المصدر السابق (١٨/٣٦٠-٣٦٢).

ومن ذلك حديث « إتيان ملك الموت في صورة أعرابي وإعطائه النبي ﷺ تفاحة فشمها ، وأنه طرق الباب فخرجوا له واحد بعد واحد ، وأنهم لما عرفوا أنه ملك الموت خضعوا له » .

قال ابن تيمية : « من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث »[١].

ومنه حديث : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » ، قال ابن تيمية : « موضوع عند أهل العلم بالحديث »[٢].

١٢- خلوه من الإسناد :

الحديث شقان : إسناد ، ومتن ، والإسناد مرشد لمعرفة من تداول ذلك المتن ، وربما يكفي النظر في الإسناد عن معاناة البحث والتمحيص والدرس للمتن ، ولذلك فإن مجيء الحديث قاصراً بلا إسناد يقوي في النفس الريبة ، ويثير الشكوك ، ويمنع القبول .

ومن ذلك حديث « كنت كنزًا لا أعرف ، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فعرفتهم بي ، فبي عرفوني » ، قال ابن تيمية : « هذا ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا أعرف له إسنادًا صحيحًا ولا ضعيفًا »[٣].

ومن ذلك ما يروى : « من أسرج سراجًا في مسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في المسجد ضوء ذلك السراج » ، قال ابن تيمية : « هذا لا أعرف له إسنادًا عن النبي ﷺ »[٤].

وهكذا مجيء الحديث بلا إسناد دليل على ضعفه ؛ إذ لو تداوله الرواة الثقات لرواه المحدثون ، ولتناقله طلاب الحديث ، وأُخذ عن العلماء .

١٣- عدم ذكره في الكتب المعتمدة :

حديث يتداوله القصاص هنا وهناك ، ويعرض عنه أئمة الشأن وأرباب الحديث ، ولا يسطر في مصنفاتهم على كثرتها ، لا بد أن علماء الحديث قد أعرضوا عنه عن

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٣٦٦).
(٢) المصدر السابق (١٨/١٢٣).
(٣) المصدر السابق (١٨/١٢٢).
(٤) المصدر السابق (١٨/١٢٨).

عمد ومعرفة ، لا أنه غاب عنهم جميعًا ، لذا ينتقد المحققون المتن إذا لم يتداوله المحدثون في مصنفاتهم على تعدادها .

ومن ذلك حديث : « الفقر فخري وبه أفتخر » ومع أنه يمسح دمعة ويسكن خاطرًا ويثبت فؤادًا ، إلا أن نسبة ذلك إلى رسول الله ﷺ على سبيل مواساة الفقراء ، وإعانتهم على الصبر على قضاء الله لا يحلو من كذب ، قال ابن تيمية : « كذب لا يعرف في شيء من كتب المسلمين المعروفة »[١] .

ومن ذلك : « قصة إبليس وإخباره النبي ﷺ ، وهو في المسجد مع جماعة من أصحابه ، وسؤال النبي ﷺ له عن أمور كثيرة ، والناس ينظرون إليه ويسمعون إليه عيانًا ، ويسمعون كلامه جهرًا » ، قال بن تيمية : « أصل الحديث ، وهو مجيء إبليس عيانًا إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه وسؤاله له كذب مختلق لم ينقله أحد من علماء المسلمين »[٢] .

● **نسبة المتن إلى غير النبي ﷺ**[٣]

قد يروى المتن عن النبي ﷺ على سبيل الوهم والخطأ ، ويشتهر ذلك عن غيره من الصحابة والتابعين أو العلماء ، فمعرفة ذلك تضعف المتن ويظل قولاً منسوبًا إلى قائله ، لا يحمل قدسية السنة أو إلزام المسلمين بها .

وجدير بالذكر أن الأقوال الحسنة الرائعة التي تدعو إلى الفضائل وتزجر عن الرذائل كثيرة ، وحري بها أن تصدر من كثير من الصالحين والعلماء والفضلاء ، ولكن نسبة القول إلى رسول الله ﷺ يصبغه بصبغة التشريع لذا يجب التمهل والتؤدة عند نسبة قول ما إلى النبي ﷺ .

وذلك ما قرره ابن تيمية في معرض نقده لرواية : « من كسر قلبًا فعليه جبره » ، قال الحافظ : « هذا أدب من الآداب ، وليس اللفظ معروفًا عن النبي ﷺ » .

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/١٢٣).
(٢) المصدر السابق (١٨/٣٥٠).
(٣) قام أستاذنا الدكتور محمد فؤاد شاكر بنشر سلسلة « ليس من قول النبي » وهي سلسلة قيمة ، نفع الله بها ، توضح نسبة الأقوال المشتهرة إلى أصحابها ، والتي نسبت إلى النبي ﷺ وهمًا أو عمدًا .

وكثير من الكلام يكون معناه صحيحًا ، « ولكن لا يمكن أن يقال عن الرسول ما لم يقل »[١].

ومن ذلك رواية : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ، قال ابن تيمية : « هذا معروف عن جندب بن عبد الله البجلي ، وأما عن النبي ﷺ فليس له إسناد معروف »[٢].

ومن ذلك رواية : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا ، وآمنه يوم الفزع الأكبر » ، قال ابن تيمية : « هذا الكلام معروف عن الفضيل بن عياض »[٣].

ومن ذلك رواية : « من أكل مع مغفور له غفر له » ، قال ابن تيمية : « هذا ليس له إسناد عند أهل العلم . . . إنما يروونه عن سنان ، وليس معناه صحيحًا على الإطلاق ، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون »[٤].

ومن ذلك ما اشتهر بين الفقهاء من حديث محلل السباق إذا أدخل فرس بين فرسين .

قال ابن تيمية : « هذا معروف عن سعيد بن المسيب من قوله ، هكذا رواه الثقات من أصحاب الزهري ، عن الزهري ، عن سعيد ، وغلط سفيان بن حسين فرواه عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، وأهل العلم بالحديث يعرفون أن هذا ليس من قول النبي ﷺ »[٥].

وربما لم يحدد الحافظ ابن تيمية هوية من ينسب إليه القول مكتفيًا بأنه من العلماء أو السلف .

ومن ذلك ما يروى : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ، قال ابن تيمية : « هذا كلام بعض الناس ، وليس هو من كلام النبي ﷺ »[٦].

ومنه ما يروى : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » ، قال ابن تيمية : « هذا مأثور عن بعض السلف ، وهو كلام صحيح »[٧].

---

(١) ابن تيمية ، أحاديث القصاص ص٩١ .
(٢) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/١٢٣).
(٣) المصدر السابق (١٨/٣٤٦).
(٤) ابن تيمية ، أحاديث القصاص ص٧٣.
(٥) ابن تيمية ، الفتاوى (١٨/٦٣).
(٦) المصدر السابق (١٨/٢٢١).
(٧) المصدر السابق (١٨/٢١٨).

obeikan.com

ومن ذلك ما يروى : « لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه » ، قال ابن تيمية : « هذا من كلام بعض السلف »[١].

وربما اكتفى ابن تيمية بذكر أن ذلك المتن ليس من كلام النبي ﷺ ، كما قال فيما يروى : « العازب فراشه من نار ، مسكين رجل بلا امرأة ، ومسكينة امرأة بلا رجل »[٢].

وما يروى : « الدنيا خطوة من رجل مؤمن »[٣].

وما يروى : « لا تكرهوا الفتنة ؛ فإن فيها حصاد المنافقين »[٤].

● **الحافظ ابن كثير**

إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القيسي القرشي البصروي ، ثم الدمشقي الشافعي[٥] ، لقب بعماد الدين ، وكني بأبي الفداء (٧٠١هـ-٧٧٤هـ) ، وقد عرف ابن كثير بحافظة متميزة ، وذاكرة حادة ، مكنته من حفظ كثير من العلوم والمتون ، أضف إلى ذلك استحضار ما حفظه بلا معاناة ، مع ندرة نسيان ، وزين ذلك جودة الفهم ، وسرعة الاستيعاب ، وتحري الدقة فيما يعرض له ، وقد مزج ذلك بروح دعابة ، وحسن مفاكهة تدفع السأم ، وتزيل الملل ، وتقبل بنواصي الطلاب إليه رحمه الله .

وهو مع ذلك ملتزم بالحديث والسنة ، ويحارب البدعة ، يألم لوجودها ، ويكشف زيفها ، ويسعى في القضاء عليها ، مع خلق حميد ، وفضائل بالغة ، فقد كان واسع الصدر ، حليمًا وفيًا ، مخلصًا لشيوخه ، حسن الصحبة لزملائه ، موضوعيًا في بحثه ، منصفًا في رأيه .

ولم يكن الحافظ ابن كثير رحمه الله منعزلاً عن واقعه أو غائبًا عن بيئته ، ولم يكن منزويًا دون قضايا مجتمعه ، مع جرأة علمية لا تعرف المحاباة .

---

(١) ابن تيمية ، أحاديث القصاص ص٥٧ . (٢) ابن تيمية ، الفتاوى (١٢٥/١٨).
(٣) المصدر السابق (١٢٣/١٨). (٤) المصدر السابق (١٢٦/١٨).
(٥) الدرر الكامنة (٣٩٩/١) ، ذيل تذكرة الحفاظ ص٥٧ ، وغيرها .

فقد وقف معارضًا للمرسوم السلطاني بمصادرة أموال نصارى الشام قصاصًا مما فعل الفرنج بثغر الإسكندرية ٧٦٧هـ[١].

وكان منصفًا لخصومه فقد ترجم لوفاة الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ٧٢٧هـ مع كونه خصمًا لشيخه ابن تيمية وتلامذته ، ومع ذلك قال في ترجمته تلك العبارات الزكية : « شيخ الشافعية بالشام وغيرها . . . برع وحصل ، وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقاد في تحصيل العلوم ، أما دروسه في المحافل ، فلم أسمع أحدًا من الناس درس أحسن منها ، ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه . . . »[٢].

وثبت على ما يراه حقًا ، فقد دافع عن شيخه ابن تيمية ، ووقف إلى جانبه وناضل عنه ، وأوذي بسببه ، فلم يردعه ذلك عن شيخ أحبه ورأي اقتنع به[٣].

• مما قيل في الثناء عليه :

قال شيخه الحافظ الذهبي : « الإمام ، الفقيه ، المحدث ، الأوحد البارع ، عماد الدين ... فقيه متقن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقاد ، له تصانيف مفيدة ، يدري الفقه ، ويفهم العربية والأصول ... له حفظ ومعرفة ... خَرّج وألف ، وناظر وصنف »[٤].

وقال تلميذه أحمد بن حجي : « كان أحفظ من أدركناه لمتون الحديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها ... »[٥].

وقال ابن حجر : « كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته »[٦].

وقال طاش كبرى زاده : « كان كثير الاستحضار ، قليل النسيان ، جيد الفهم »[٧].

---

(١) البداية والنهاية (١٤/٣١٤ ، ٣١٥). (٢) المصدر السابق (١٤/١٣١ ، ١٣٢).
(٣) الدرر الكامنة (١/٤٠٠) ، شذرات الذهب (٦/٢٣١ ، ٢٣٢).
(٤) الذهبي ، المعجم المختص ص٥٦ ، وطبقات الحفاظ (٤/١٥٠٨).
(٥) شذرات الذهب (٦/٢٣٢). (٦) ابن حجر ، الدرر الكامنة (١/٤٠٠).
(٧) طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة (١/٢٥١ ، ٢٥٢).

وقد ترك لنا الحافظ ابن كثير تركة حديثية وافرة ، فقد بذل وسعه ، وقدم جهده ولم يأل جهدًا إلا بذله ، ولا وقتًا إلا أنفقه ، فكانت تلك المصنفات الحديثية ومنها الأحكام الكبير ، واختصار علوم الحديث ، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، وتخريج أحاديث أدلة التنبيه في الفقه الشافعي ، وجامع المسانيد والسنن ، وشرح البخاري ، ومسند الشيخين . . . إلى غير ذلك[١] .

وإلى جانب ذلك الكنز الزاخر من المصنفات ، فقد ترك لنا الحافظ ابن كثير منهجًا علميًا رائدًا في علوم الحديث ، يبدو في ثنايا مصنفاته المتعددة ، وهو إلى جانب ذلك ناقد حديثي جهبذ ، يعرف الأسانيد ، وينتقد المتون ، ولا يتكلم إلا بقرينة ، ولا يصرح بتضعيف إلا بدليل .

ويتجلى منهجه في نقد متن الحديث الشريف من الناحية الإيجابية ، توضيحًا لإبهام ، وكشفًا لغموض ، وتفسيرًا لمشكل ، وكذلك من الناحية السلبية ، وقفًا لمرفوع ، وكشفًا لضعف زيادة ، وبيانًا لنكارة لفظ ، أو غرابة عبارة ، وإنكارًا لما لم يثبت عن النبي ﷺ إلى غير ذلك من دلائل وقرائن تضعيف المتون .

● **من الجوانب النظرية لنقد متن الحديث الشريف :**

نقد متن الحديث الشريف منه ما يتعلق بكشف الخطأ ومعرفة الوهم ، ومنه ما يتعلق ببيان مبهم ودفع تعارض ، ومنه ما يتعلق بالنواحي النظرية والتقعيدية لذلك العلم ، ومن الجوانب النظرية التي أشار إليها ابن كثير :

١ - لا تلازم بين قوة الإسناد وصحة المتن :

قوة الإسناد من شروط صحة المتن وليس بلازمه ، فالمحدثون ليسوا كالرياضيين أو المنطقيين الذين ينتقلون من مسلمات إلى نتائج أحادية ، لا محيد عنها ، وإنما لكل حديث نقده الخاص ، وذلك بمراعاة ما يحتف به من قرائن ، وما يكتنفه من دلائل .

لذلك فإن الحافظ ابن كثير لم يستسلم لسلطان الإسناد وهو يحكم على الحديث ، ولم يأسره هيبة الصحيح إن كان هناك وهم نادر ؛ أن يفصل بين صحة السند وضعف المتن ، فالثقة قد يَهِم والصدوق قد يخطئ ؛ بل لم يسلم أحد من الخطأ ، فالخطأ جزء من تركيب الإنسان الفطري .

---

(١) انظر ، دكتور محمد الزحيلي ، ابن كثير الدمشقي الحافظ ص١٥٧-١٦٥ .

ولذلك فقد روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والنسائي في الكبرى ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه » ، قال ابن كثير : « هذا إسناد جيد قوي ، على شرط الصحيح ، وهو غريب جدًا »[١].

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها . . . » الحديث .

قال ابن كثير : « هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ، وقد تكلم عليه علي ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب »[٢].

وكذلك روى البخاري في صحيحه حديث شريك بن عبد الله في الإسراء من رواية أنس عن النبي ﷺ ، وذلك الحديث قد أعرض عن ذكر ألفاظه مسلم رحمه الله ، وذكر أن شريكًا قدم فيه وأخر ، وزاد فيه نقص .

وقد انتقد ابن كثير رحمه الله تلك الرواية فقال : « في سياقه غرابة من وجوه »[٣] ، وذكر من ذلك قوله : « قبل أن يوحى إليه » ، وكذلك قوله : « ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » ، قال ابن كثير : « قد يكون من فهم الراوي ، فأقحمه في الحديث »[٤].

٢- رواية الضعيف للتحذير منه :

لا يحل رواية الضعيف أو الموضوع دون بيان لحاله ، وإلا كان ذلك خيانة للقارئ ومعاونة على نشر الكذب ، ولكن العلماء من النقاد كان لهم في رواية الباطل أهداف أخرى غير الرواية ، وقد كان يحيى بن معين ينهى عن الرواية عن بعض الكذابين ، ثم يكتب أحاديثه ، ويبين رحمه الله أنه يكتب ذلك ويحفظه من رواية أولئك الوضاعين ، حتى لا يجيء آخر ، فيضع لتلك الروايات أسانيد صحيحة ويروجها على العامة .

وقد ذكر ابن كثير رواية ابن عباس رضي الله عنهما : « أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال : يا محمد ، استعذ ، قال : **أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان**

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية (٦/٤٤٩).
(٢) ابن كثير ، التفسير (١/١٠٩).
(٣) ابن كثير ، البداية (٤/٢٧٥).
(٤) المصدر السابق (٤/٢٧٧-٢٨٠).

الرجيم ، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق: ١) .

قال ابن كثير : « هذا الأثر غريب ، وإنما ذكرناه ليعرف »[١].

٣- ظهور أثر الصنعة :

الناقد الفطن لا تخفى عليه علامات الأحاديث الموضوعة ، ولا تغيب عنه أمارات الروايات المصنوعة .

ومن ذلك ما روي « أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي طالب صلاة العصر ، بعدما فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته ، فسأل النبي ﷺ أن يردها عليه حتى يصلي العصر فرجعت » ، قال ابن كثير : « منكر ، ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان ، وهو مما تتوفر الدواعي على نقله ، وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة »[٢].

ومن ذلك حديث أنس : « أن الخضر جاء ليلة ، فسمع النبي ﷺ كلامه ، وهو يدعو . . . فبعث إليه رسول الله ﷺ أنس بن مالك فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، وقال له : قل له : إن الله فضلك على الأنبياء . . . وفضل أمتك على الأمم . . . » هكذا الحوار عن طريق أنس ، ولم يسع الخضر كما يزعمون ـ إلى النبي ﷺ بينما قال هرقل في لحظات إيمان : « لو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت إليه حتى أغسل عن قدمه » .

قال ابن كثير : « هو مكذوب ، لا يصح سندًا ولا متنًا ، كيف لا يتمثل بين يدي رسول الله ﷺ ويجيء بنفسه مسلمًا ومتعلمًا؟! . . . وأهل الحديث متفقون على أنه منكر الإسناد ، سقيم المتن ، يتبين فيه أثر الصنعة »[٣].

ومن ذلك ما جاء عن عيسى عليه السلام « أسلمته أمه إلى الكُتَّاب ، فجعل المعلم لا يعلمه شيئًا إلا بدره إليه ، ومن ذلك (أبو جاد). . . قال عيسى : الألف آلاء الله ، الباء بهاء الله ، الجيم بهجة الله وجماله . . . ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأجابه على كل كلمة كلمة » .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (١/٢٤).
(٢) ابن كثير ، البداية (٢/٢٣٦ ، ٢٣٧).
(٣) المصدر السابق (٢/٢٥٦).

قال ابن كثير : « حديث طويل موضوع ، لا يشك فيه ولا يتمارى »[١].

٤- معرفة الوضاع :

معرفة الروايات المكذوبة والأحاديث الباطلة لا غنى عنها للتحذير منها وكشف عوارها ، وكذلك معرفة من قام بذلك له دور كبير في اكتشاف طامات أُخَر بثها ذلك الوضاع بين الرواة ، ولذلك حرص النقاد على معرفة الوضاعين والكذابين ، وألف المحدثون في معرفة الضعفاء المصنفات المختلفة كالضعفاء للعقيلي والمجروحون لابن حبان ، وميزان الاعتدال للذهبي وغير ذلك .

ومن ذلك ما روى « أن رسول الله ﷺ ذهب إلى يأجوج ومأجوج ليلة الإسراء فدعاهم إلى الله ، فامتنعوا من إجابته ومتابعته . . . » ، قال ابن كثير : « حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمر بن الصبح ، أحد الكذابين الكبار ، الذين اعترفوا بوضع الحديث »[٢].

ومن ذلك رواية زكريا بن يحيى الوقار لحديث عمر بن الخطاب مرفوعًا وفيه : ذكر اجتماع موسى بالخضر عليهما السلام وفيه : « ثم قال موسى : أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك ، فقال الخضر : يا طالب العلم ، إن القائل أقل ملالة من المستمع ، فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم . . . يا ابن عمران ، لا تفتحن بابًا لا تدري ما غلقه ، ولا تغلقن بابًا لا تدري ما فتحه . . . » .

قال ابن كثير : « لا يصح هذا الحديث ، وأظنه من صنعة زكريا بن يحيى الوقار المصري ، كذبه غير واحد »[٣].

٥- الإسرائيليات :

أجاز النبي ﷺ التحديث عن بني إسرائيل ، على ألا نصدقهم أو نكذبهم ، فهم أهل كتاب سماوي ، كما أنهم أرباب تحريف وزيادة ونقصان ، تمكنت منهم الأهواء حتى بدلوا آيات كتبهم المقدسة وفق ما يشتهون ، واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً .

وأثناء عمل الرواة بذلك الإذن النبوي لم يكن نقلة الحديث النبوي بدرجة واحدة من الكفاءة واليقظة ، مما جعل بعضهم يروي تلك الإسرائيليات على أنها من قول النبي ﷺ .

---

(١) ابن كثير ، البداية (٢/٤٦٩).
(٢) المصدر السابق (٢/٥٥٤).
(٣) المصدر السابق (٢/٢٥١-٢٥٣).

والإسرائيليات كما يقول ابن كثير على ثلاثة أضرب : « ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، وما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، وما هو مسكوت عنه . . . فلا نؤمن به ولا نكذبه به ويجوز حكايته . . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه »[١].

والأحاديث المتداولة من الإسرائيليات « دليل على أنهم قد بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها »[٢].

كما زاد أولئك مع التحريف المتعمد وسوء القصد الخطأ في التعريب « فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ، ولا سيما ممن لا يعرف كلام العرب جيدًا ، ولا يحيط علمًا بفهم كتابه »[٣].

وقد أصاب عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يوم اليرموك زاملتين من كلام أهل الكتاب وكان يحدث بهما على إباحة النبي ﷺ لذلك ، ولذلك كثر الوهم عليه من قبل بعض الرواة ، فجعل ينسب ذلك إلى النبي ﷺ .

من ذلك حديث : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء ، فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ، ثم أمر بالطواف به ، وقيل له : أنت أول الناس ، وهذا أول بيت وضع للناس »[٤].

ومنه : « نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت ، فقال : في نار الله الحامية ، لولا ما يزعها من أمر الله ، لأحرقت ما على الأرض »[٥].

● **ومما روي مرفوعًا ، وأصله من روايات أهل الكتاب :**

ما روى من حديث سمرة مرفوعًا : « لما ولدت حواء ، طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سميه عبد الحارث ، فإنه يعيش . . . » .

قال ابن كثير : « الظاهر أن هذا متلقى عن كعب الأحبار . . . وأيضًا فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر ، وليبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً ، فكيف

---

(١) ابن كثير ، التفسير (٨/١).
(٢) ابن كثير ، البداية (٣٦/٣).
(٣) المصدر السابق (١٨٣/١) ، (٣٦/٣).
(٤) ابن كثير ، التفسير (٦٠١/١).
(٥) ابن كثير ، البداية (٥٤٦/٢).

كانت حواء لا يعيش لها ولد . . . ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما في هذا»[١].

ومن ذلك ما روى في قصة الذبيح : «اذبح بكرك إسحاق» ، قال ابن كثير : «فلفظة إسحاق مقحمة مزيدة بلا مرية ، لأن الوحيد ـ وهو البكر ـ إسماعيل ؛ لأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة ، فكيف يكون الوحيد البكر إسحاق؟! وإنما حملهم على ذلك حسد العرب»[٢].

ومن ذلك ما روي من حديث أبي هريرة مرفوعًا : «وقع في نفس موسى : هل ينام الله عز وجل؟ فأرسل الله إليه ملكًا ، فأرقه ثلاثًا ، ثم أعطاه قارورتين» الحديث ، قال ابن كثير : «هذا حديث غريب رفعه ، والأشبه أن يكون موقوفًا ، وأن يكون أصله إسرائيليًا»[٣].

● **النقد الإيجابي للمتن :**

الحافظ ابن كثير لا يقف موقف الهجوم فحسب ، فالنقد لا يعني الذم وإظهار العيوب فقط ، ولكن النقد يهدف إلى بيان الحقيقة ، والبحث عن الكلمة الصادقة ، وفي سبيل ذلك ، ربما كانت ثمرة النقد تضعيف الرواية ، وربما كان جناها الدفاع عن الأثر ، وقد قدم الحافظ ابن كثير نماذج للنقد الإيجابي :

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر : قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وضع أول؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي؟ قال : بيت المقدس ، قلت : كم بينهما؟ قال : أربعون سنة» ، ومعلوم أن بين إبراهيم وسليمان عليهما السلام زمن بعيد رآها ابن كثير ألوف السنين ، ولكن ابن كثير رحمه الله لا يرى أن سليمان عليه السلام قد ابتدأ بناء بيت المقدس ، وإنما «جدده بعد خرابه وزخرفه»[٤].

ومن ذلك ما جاء في الصحيح : «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار

---

(١) ابن كثير ، البداية (١/١٢٥ ، ١٢٦).
(٢) المصدر السابق (٣/٨٣).
(٣) المصدر السابق (٢/١٦٢).
(٤) ابن كثير ، التفسير (١/٢٩٠).

فيدخلها ...» الحديث ، قال ابن كثير :« وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ، ويسر عليه ، ومن نوى صالحًا ثبت عليه . . . وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث : ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس»[١] ، وهكذا بين الحافظ ابن كثير معنى الحديث ، من خلال جمع روايات ذلك الباب .

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « لا تخيروني على موسى » ، قال ابن كثير : « هذا من باب الهضم والتواضع ، أو نهي عن التفضيل بين الأنبياء على وجه الغضب والعصبية ، أو ليس هذا إليكم»[٢].

ومن ذلك دفاع الحافظ ابن كثير عن حديث مناداة النبي ﷺ قتلى بدر ومشافهتهم ، وفيه : « قال عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال النبي ﷺ : **والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» فقد عارضت أم المؤمنين ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (فاطر:٢٢) ، قال ابن كثير : « قد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث»[٣]، وأكد على أن الجمهور على خلاف قول أم المؤمنين رضي الله عنها .

يضاف إلى ذلك أن أم المؤمنين لم تشهد موقف السياق ، وإنما اعتمدت على فهمها لسياق الآية ؛ بينما من حدث بذلك شهد سبب الورود ، وهم جمهور الصحابة ، قال قتادة : « أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ، ونقمة ، وحسرة ، وندمًا »[٤].

قال ابن كثير : « والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للأحاديث الدالة نصًّا على خلاف ما ذهبت إليه رضي الله عنها »[٥].

● **استخدام دلائل اللغة :**

ومن ذلك استخدام قواعد اللغة في بيان ما غمض وإيضاح ما استشكل ، فقد روي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « كنا في مسير لنا ، فنزلنا فجاءت جارية

---

(١) ابن كثير ، التفسير (٢٩٠/١).
(٢) ابن كثير ، البداية (١٤٢/٢).
(٣) المصدر السابق (١٥٢/٥).
(٤) المصدر السابق (١٥٣/٥ ، ١٥٤).
(٥) المصدر السابق (١٥١/٥).

فقالت : إن سيد الحي سليم ، وإن نفرنا غيب ، فهل منكم راق؟ ... » ، قال ابن كثير : « السليم : يعني اللديغ ، يسمونه بذلك تفاؤلاً »[١].

ومن ذلك ما روي في صحيح مسلم ، عن عمرو بن عبسة السلمي : « أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث ، وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفيًا . . . قلت : نعم ما أرسلك به ، فمن معك قال : **حر وعبد ـ يعني أبا بكر وبلال** ـ قال : فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام . . . » .

قال ابن كثير : ويقال : « إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد : اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة . . . فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه . . . »[٢].

● **التوفيق بين مختلف الحديث :**

ومن ذلك الاختلاف الظاهري بين حديث الرجل الذي قتل نفسه ، ورآه الطفيل ابن عمرو في منامه في هيئة حسنة . . . فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه . . . فقال رسول الله ﷺ : **اللهم وليديه فاغفر** » .

وحديث جندب رضي الله عنه مرفوعًا : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح ، فجزع فأخذ سكينًا فخز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل : عبدي بادرني بنفسه ، فحرمت عليه الجنة » ، فأجاب ابن كثير عن ذلك بأجوبة عدة منها :

أن يكون الأول مؤمنًا والآخر مشركًا ، أو أن يكون الثاني عالمًا بالنهي ، والأول غير عالم به ، أو يكون ذلك المحرم عليه الجنة قد استحل ذلك بخلاف من غفر له .

وقد يكون الثاني قليل الحسنات ، فلم تقاوم حسناته كبر ذنبه ، فدخل النار ، ويكون الأول كثير الحسنات ، فقاومت حسناته الذنب فلم يدخل النار ، بل غفر له بهجرته »[٣].

وكذلك ما جاء من إخبار النبي ﷺ بمصارع قتلى بدر بأسمائهم ومواضع قتلهم ، فقد جاء في غير حديث صحيح ، ومقتضى رواية ابن مسعود أنه ﷺ أخبر بذلك

---

(١) ابن كثير ، التفسير (١/١٩).
(٢) ابن كثير ، البداية (٤/٧٩).
(٣) المصدر السابق (٤/٢٤٨ ، ٢٤٩).

يوم الوقعة ، ومقتضى رواية أنس وعمر أن ذلك قبل الوقعة بيوم ، وقال ابن كثير بالتعدد : « ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبل ذلك بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة »[١].

● **انتقاد الحافظ ابن كثير في نقده الإيجابي للمتن :**

لم يكن الحافظ ابن كثير موفقًا في كل نتقاداته ، وتلك سنة الله في خلقه ، فإنه لم يسلم من الخطأ أحد ، إذ كثيرًا ما تأخذه الرغبة في الدفاع عن أحاديث الصحيحين ، غير أن دفاعه قد يجانب الصواب أحيانًا .

فمن ذلك حديث أبي سفيان في الأمور الثلاثة التي التمسها من رسول الله ﷺ ومنها . . . : « عندي أحسن العرب وأجمله : أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها ، فقال الرسول ﷺ : نعم » الحديث .

فذلك الحديث مما انتقده كثير من أئمة الحديث ، ونسبوا فيه مسلمًا رحمه الله إلى الوهم والخطأ ، غير أن ابن كثير رحمه الله يرى أن « الأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عزة ، لما رأى في ذلك من الشرف له . . . وإنما وهم الراوي هذا بتسميته أم حبيبة »[٢].

غير أن هذا التأويل يرده إجابة النبي ﷺ بقوله : نعم ، فلو كان ذلك مراد أبي سفيان لأخبره النبي ﷺ أنها لا تحل له ، ولم يجبه بنعم .

ومن ذلك ما رواه البيهقي في الدلائل من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين : كلتاهما عصمني الله . . . » الحديث .

قال ابن كثير : وهذا حديث غريب جدًّا ، وقد يكون عن علي نفسه ، ويكون قوله في آخره : « حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته مقحمًا »[٣].

واستغراب ابن كثير رحمه الله لذلك المتن حسن ، ولكن من غير المقبول نسبة ذلك إلى عليٍّ رضي الله عنه ؛ إذ علي رضي الله عنه قد أسلم صبيًّا لم يبلغ ذلك الشأن قبل إسلامه ،

---

(١) ابن كثير ، البداية (١٠٤/٥).
(٢) المصدر السابق (١٤٨/٦ ، ١٤٩).
(٣) المصدر السابق (٤٤٧/٣).

فعمره وقت إسلامه دون ذلك الأمر ، ثم مازال ﷺ في كنف نبي الله ﷺ يحيا الإيمان ويستنشق عبير الطهر ، ويرتدي ثياب العفاف ، فمتى فعل ذلك؟!

● **النقد السلبي للمتن :**

وكما دافع الحافظ ابن كثير عن بعض المتون ، كاشفًا بعض الإشكالات حولها موضحًا بعض ما أبهم منها ، فهو يوجه سهام نقده إلى متونٍ أُخَر لما يراه أنها لم تحقق شروط الصحة ، ومن تلك المعايير :

١- خلاف السنة الصحيحة الثابتة :

ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : « أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه ، فأحياهما وآمنا به » ، قال ابن كثير : « حديث منكر جدًّا ، وإن كان ممكنًا بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه »[(١)].

ومن ذلك ما روي من حديث أسماء بنت عميس قالت:« دخل عليَّ رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : لا تحدي بعد يومك هذا» ، قال ابن كثير : « مشكل إن حمل على ظاهره ؛ لأنه ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا** »[(٢)].

ومن ذلك ما رواه البيهقي في الدلائل من حديث أنس ، وفيه ذكر إلياس عليه السلام وأن طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع ، الحديث ، قال ابن كثير : معناه لا يصح ، فقد تقدم في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعًا في السماء . . . ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن** »[(٣)].

ومن ذلك ما روى من حديث أنس بن مالك مرفوعًا : « لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا : السورة التي يذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران » ، قال ابن كثير : « حديث غريب . . . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي ، فجعل

---

(١) ابن كثير ، البداية (٤٢٩/٣).
(٢) المصدر السابق (٤٤٤/٦).
(٣) المصدر السابق (٢٧٤/٢ ، ٢٧٥).

البيت عن يساره ، ومنى عن يمينه ، ثم قال : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة»[١].

٢- خلاف التاريخ :

ومن ذلك ما رواه أحمد من حديث ابن عباس قال : «لما نزلت : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ قال رسول الله ﷺ : نعيت إليّ نفسي ؛ بأنه مقبوض في تلك السنة» .

قال ابن كثير : «هذا باطل ؛ فإن الفتح كان سنة ثمان في رمضان منها ، وهذا ما لا خلاف فيه ، وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بلا خلاف»[٢].

ومن ذلك حديث قتل حمزة رضي الله عنه ، وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما : «أن الله عز وجل أنزل في ذلك : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ (النحل:١٢٦) ، قال ابن كثير : «هذه الآيات مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا مع هذا»[٣].

ومن ذلك حديث سفر النبي ﷺ مع عمه أبي طالب ولقاء بحيرا الراهب ، وفيه : «أمر أبو بكر رضي الله عنه بلالاً أن يعود مع رسول الله ﷺ» ، ثم انتقد ذلك ابن كثير من عدة أوجه ومنها : «كان عُمْرُ أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعُمْرُ بلال أقل من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال ، كلاهما غريب»[٤].

ومن ذلك حديث ورقة ومروره ببلال وهو يعذب ، وقوله : «أحلف بالله ، لئن قتلتموه لأتخذنه حنانًا» ، قال ابن كثير : «وقد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي ، وإسلام من أسلم ، إنما كان بعد نزول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ فكيف يمر ورقة ببلال وهو يعذب؟»[٥].

ومن ذلك نقد ابن القيم لكتاب اليهود بإسقاط الجزية عن يهود خيبر ، وادعائهم أن ذلك عن رسول الله ﷺ .

---

(١) ابن كثير ، التفسير (١/٥٧ ، ٥٨).
(٢) ابن كثير ، البداية (٦/٦٢٤).
(٣) المصدر السابق (٥/٤٢٥).
(٤) المصدر السابق (٣/٤٤٠ ، ٤٤١).
(٥) المصدر السابق (٤/١٤٣ ، ١٤٤).

وقد انتقد ذلك الحديث الخطيب البغدادي ثم ابن تيمية وابن القيم ، وجعل ابن كثير الرد على ذلك في كتاب مفرد ، وذكر من ذلك : شهادة سعد بن معاذ ، وكان قد مات قبل زمن خيبر ، وشهادة معاوية بن أبي سفيان ، ولم يكن أسلم بعد ، وفيه وضع الجزية ، ولم تكن شرعت بعد[١].

٣- خلاف الثابت :

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري : « أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطًا ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله ﷺ : **أمسكوا ، فإن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة** . . . وفيه أن رسول ﷺ قال : **كلوا باسم الله** ، قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله ، فلم يضر أحدًا منا » .

قال ابن كثير : « فيه نكارة وغرابة شديدة »[٢].

وإنما ذلك لخلافه ما ثبت أن النبي ﷺ تأثر من ذلك السم وأن بعض الصحابة رضوان الله عليهم مات بسبب ذلك .

ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص : « ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام » ، قال ابن كثير : « وقد علم أن الصديق وعليًا وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد . . . وأما قوله : ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام فمشكل ، وما أدرى على ماذا يوضع إلا أن يكون أخبر بحسب علمه »[٣].

ومن ذلك ما رواه أبو داود : قال الزهري : « خمس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرها على من شهدها » ، قال ابن كثير : « فيما قاله الزهري نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الغانمين »[٤].

٤- خلاف المشهور :

ومن ذلك ما روي « أن رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر عليًا أن يدله على مسيره ليلحقه ، فلحقه أثناء الطريق » ، قال ابن كثير : « هذا غريب جدًا ، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معًا »[٥].

---

(١) ابن كثير ، البداية (٦/٣٥٥ ، ٣٥٦).
(٢) المصدر السابق (٦/٣٣٢).
(٣) المصدر السابق (٤/٨٠).
(٤) المصدر السابق (٦/٣٠٤).
(٥) [illegible] (٤/٤٤٧).

ومن ذلك حديث ورقة ، وفيه : « إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني ، فلما خلا ناداه ، يا محمد ، قل : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . . . » الحديث ، قال ابن كثير : « وفيه غرابة ، وهو كون الفاتحة أول ما نزل »[١].

ومن ذلك حديث محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : « قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلامًا؟ قال : لا ، لقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلامًا » ، قال ابن كثير : « حديث منكر ، إسنادًا ومتنًا »[٢].

ومن ذلك ما رواه ابن عساكر من حديث أبي بكرة : « أن جبريل ختن النبي ﷺ حين طهر قلبه » ، قال ابن كثير : « وهذا غريب جدًّا ، وقد روي أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشًا عليها »[٣].

٥- خلاف المعقول :

ومن ذلك ما روي أن القوم الجبارين الذين أمر بنو إسرائيل بقتالهم كانوا أشكالاً هائلة ، ضخامًا جدًّا ، حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين ، فجعل يأخذهم واحدًا واحدًا ، ويلفهم في أكمامه وحجزة سراويله ... » ، قال ابن كثير : « مجازفات باطلة يدل العقل والنقل على خلافها ... ثم لو كان هذا صحيحًا ، لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم »[٤].

ومن ذلك ما روى من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق ، كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمارٌ ناقةٌ من وجع كان به ، فجعل يحمل لبنتين لبنتين . . . » الحديث ، قال ابن كثير : « حمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل »[٥].

٦- خلاف المعقول والمنقول :

قد تجتمع في الرواية الواحدة من قرائن الرد ، ودلائل التضعيف كونها تخالف العقل والنقل ، فاجتماع خلاف هذين الأصلين يجعل الرواية معلومة البطلان .

---

(١) ابن كثير ، البداية (٤/٢٤).
(٢) المصدر السابق (٤/٧٢).
(٣) المصدر السابق (٣/٣٨٨ ، ٣٨٩).
(٤) المصدر السابق (٢/١٢٥ ، ١٢٦).
(٥) المصدر السابق (٤/٥٣٦-٥٣٨).

ومن ذلك ما يروى «أن عوج بن عنق كان موجودًا من قبل نوح إلى زمان موسى ، ويقولون : كان كافرًا عنيدًا ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع . . . » ، قال ابن كثير : «لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير . . . لما تعرضنا لحكايتها ؛ لسقاطتها وركاكتها ، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول» .

وذكر من المعقول أنه كيف يهلك الله ابن نوح عليه السلام ، وأبوه نبي الأمة ويهلك أم الصبي مع ما سكن قلبها من الرحمة لذلك الصبي ، ويترك ذلك الجبار العنيد الفاجر الشديد؟!

ومن المنقول قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ (الشعراء:٦٦)، وقوله تعالى : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح:٢٦) ، وكذلك مخالفة ذلك الطول لما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «**إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**» . . . وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه . . . »[(١)].

ومن ذلك ما روى من حياة الخضر إلى زماننا هذا ، وأنه أدرك زمان النبي ﷺ ، وقد عارض الإمام ابن كثير ذلك القول ورأى أن الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدًا لا يقوم بمثلها حجة في الدين[(٢)].

وذكر من المعقول أن الخضر لو كان حيًا لكان أشرف أحواله أن يكون بين يدي النبي ﷺ مؤمنًا مصدقًا وناصرًا ، ولكان تبليغه عن النبي ﷺ الأحاديث والآيات ، وإنكاره الأحاديث المكذوبة ، وقتاله مع المسلمين في غزواتهم ، وحضور الجمع والجماعات ، وتسديد العلماء والحكام إلى غير ذلك أفضل من زيارته المزعومة لبعض المتصوفة ، ومن المنقول قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ (الأنبياء:٣٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (آل عمران:٨١) .

---

(١) ابن كثير ، البداية (١/٢٦٦ ، ٢٦٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٦٣ ، ٢٦٤).

وقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر : « أرأيتم ليلتكم هذه فإنه إلى مائة سنة ، لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد »[١].

٧- موافقة آراء بعض الفرق :

ومن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : « أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين » ، قال ابن كثير : « هذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله علي رضي الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين ، هذا لا يتصور أصلاً » ، وذكر أن عبيد الله بن موسىٰ العبسي ـ أحد رواة الحديث ـ شيعي من عُتَّى الشيعة[٢].

ومن ذلك ما روى من حديث ابن عباس مرفوعًا : « السُّبَّاق ثلاثة : فالسابق إلى موسى يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى صاحب يس ، والسابق إلى محمد علي ابن أبي طالب » ، قال ابن كثير : « حديث لا يثبت ؛ لأن حسينًا هذا ـ أحد الرواة ـ متروك وشيعي من الغلاة ، وتفرده بمثل هذا مما يدل على ضعفه بالكلية »[٣].

ومن ذلك ما ذكر في غزوة خيبر وإعطاء النبي ﷺ الراية لأبي بكر ثم عمر ، ولم يفتح عليهما ، ثم أعطاها عليًّا فكان الفتح على يديه ، قال ابن كثير : « في سياقه غرابة ونكارة ، وفي إسناده من هو متهم بالتشيع »[٤].

٨- عدم وجود الحديث في الكتب المعتمدة :

ومن ذلك ما روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « إذا أتيت أهلك فسم الله ، فإنه وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات »، قال ابن كثير : « هذا لا أصل له ، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها »[٥].

ومن ذلك ما روى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : « لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ، ينادي يا محمد ، يا محمد ، فأقول :

---

(١) ابن كثير ، البداية (١/٢٥٠-٢٧٠).
(٢) المصدر السابق (٤/٦٦ ، ٦٧).
(٣) المصدر السابق (١/١٥).
(٤) ابن كثير ، البداية (٦/٢٦٦ ، ٢٦٧).
(٥) ابن كثير ، التفسير (١/٣٠).

لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك . . . » ، قال ابن كثير : « لم يروه أحد من أهل الكتب الستة »[١].

ومن ذلك حديث رد الشمس لعلي ﷺ ليصلي العصر ، قال ابن كثير : « منكر ، ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان »[٢].

● **نقد بعض الحديث دون بعض :**

قد لا يضعف الحديث بالكلية ، ولكن ينتقد بعض ذلك المتن دون باقيه ، وذلك لوهم ، أو زيادة ، فتنتقد تلك الزيادة ، ويصوب ذلك المتن ، ومنه :

أ- رفع الموقوف :

ومن ذلك ما روى من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « من أتى شيئًا من الرجال والنساء في الأدبار ، فقد كفر » وقد روى أيضًا موقوفًا على أبي هريرة ، قال ابن كثير : « والموقوف أصح »[٣].

ومن ذلك ما روي من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعًا : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ : أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ، وتخشى الفقر » ، قال ابن كثير : « روي عن ابن مسعود موقوفًا ، وهو أصح »[٤].

ومن ذلك ما روى من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا : « في الذي يأتي امرأته وهي حائض ، يتصدق بدينار أو نصف دينار » ، قال ابن كثير : « روي موقوفًا ، وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث »[٥].

ب ـ زيادة غير ثابتة :

ومن ذلك حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « ويأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق ، فينفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ... فيقول : ليمت جبريل وميكائيل . . . فيقول الله : لتمت حملة عرشي . . . » الحديث .

---

(١) ابن كثير ، التفسير (٦٦٢/١).
(٢) ابن كثير ، البداية (٢٣٦/٢ ، ٢٣٧).
(٣) ابن كثير ، التفسير (٤١٣/١).
(٤) المصدر السابق (٣٢٤/١).
(٥) المصدر السابق (٤٠٦/١).

وجاء في رواية أبي موسى المديني : « فيقول الله لملك الموت : أنت خلق من خلقي ، خلقتك لما أردت ، فمت موتًا لا تحيى بعده أبدًا » ، قال ابن كثير : « زيادة غريبة »[١].

ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما في تبشير خديجة ببيت في الجنة من قصب ، وفيه : « ما ذلك البيت الذي من قصب؟ قال : لؤلؤة جوفاء ، بين بيت مريم بنت عمران ، وبيت آسية بنت مزاحم ، وهما من أزواجي في الجنة » ، قال ابن كثير : « وأصل السلام على خديجة من الله ، وبشارتها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب في الصحيح ، ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدًا »[٢].

جـ - وهم غير متعمد :

ومن ذلك ما جاء من حديث أنس ﷺ : « فانشق القمر بمكة مرتين » ، قال ابن كثير : « فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين »[٣].

ومن ذلك ما روى عن ابن عباس مرفوعًا : « إن موسى حج على ثور أحمر » .

قال ابن كثير : « هذا غريب جدًا » ، ثم ذكر رواية : « على جمل أحمر »[٤].

ومن ذلك ما جاء من حديث أبي بكرة :« ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال : **لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » ، قال ابن كثير : « ضعيف ، وقد ثبت في صحيح البخاري . . . أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى . . . » الحديث[٥] ، فأصل الرواية ابنة كسرى لا بلقيس ، ولكن الرواة وهموا في ذلك .

● ابن قيم الجوزية

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي الزُرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١هـ-٧٥١هـ).

نشأ في بيت علم ودين ، وكان رحمه الله ذا عبادة وزهد وورع ، وشغف بالمحبة ، والذكر والاستغفار ، وكان يطيل الصلاة ، ويمد ركوعها وسجودها ، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى ، حتى يتعالى النهار ، ويقول : هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي »[٦].

---

(١) ابن كثير ، البداية (١/١٠٨ ، ١٠٩).
(٢) المصدر السابق (٢/٤٣٤ ، ٤٣٥).
(٣) المصدر السابق (٤/٣٠٤).
(٤) المصدر السابق (٢/٢١٨ ، ٢١٩).
(٥) المصدر السابق (٢/٣٣١).
(٦) ابن حجر ، البدر الطالع (٢/١٤٣) ، الدرر لكامنة (٤/٢١ ، ٢٢).

وكان ذا خلق عالٍ ، لطيف المعشر ، كثير التودد ، لا يؤذي أحدًا ولا يحسده[١] ، وقد شغف بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى[٢].

ولم يكن العلم عنده بمعزل عن العمل ، بل كان من القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متحملاً في ذلك الأذى ، لا يخاف في الله لومة لائم[٣] ، وقد تأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية أيما تأثر ، ونهل من علومه ، وتابعه على كثير من آرائه ، وناله الأذى جراء تلك المتابعة .

ومن يقرأ مصنفات ابن القيم رحمه الله يرى رجلاً عَمَّرَ قلبه اليقين بالله والافتقار إليه ، والعبودية له ، والإنابة إليه ، وكذلك غلبة الشوق والمحبة التي أسرت قلبه بالتعلق ، على منهج سلفي رشيد ؛ لا على منهج بعض الغلاة ، فلا عجب إذا رأيناه زاهدًا في الدنيا ، مزدريًا لها ، قد تلاشت عنده مظاهرها ، وتجلت حقيقتها أنها إلى فناء ، فشمر ساثرًا إلى الله والدار الآخرة[٤].

قال ابن رجب : « كان رحمه الله تعالى ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار ، والافتقار إلى الله ، والانكسار له ، والاطراح بين يديه ، على عتبة عبوديته ، لم أشاهد مثله في ذلك . . . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه . . . وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة »[٥].

وقال ابن كثير : « لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه »[٦].

وقال ابن رجب : « حج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة ، وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه »[٧].

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية (٢٠٢/١٤).
(٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة (٢٢/٤).
(٣) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).
(٤) بكر أبو زيد ، ابن قيم الجوزية ص٤.
(٥) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية (٢٠٢/١٤).
(٧) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).

اهتم بعلوم عدة ، فبرع في التفسير والفقه والأصول ، والحديث : متونه ورجاله والنحو ، وعني بالعربية وعلم السلوك وكلام أهل التصوف ، وتفنن في الوعظ وكان له قدمٌ راسخة في التوحيد ، وعلم بالفرائض ، رحمه الله ورضي عنه[١] .

وظهر في تصانيفه اعتماده على الكتاب والسنة ، وتقديم أقوال الصحابة على من سواهم ، مع سعة الاطلاع واستيعاب جوانب المسألة ، وتحرره من ضيق المذاهب إلى حرية الترجيح والاختيار ، والمطلع في كتبه لا يملها ولا يستغلق عليه فهمها فمصنفاته عذبة اللفظ ، قوية البنيان ، ذات جاذبية تدفع السأم ، مع حسن ترتيب وجودة تصنيف ، ويظهر منه رحمه الله التواضع وهضم الذات ، والتجافي عن الاستعلاء أو التكبر[٢] .

وكان اهتمامه رحمه الله بعلوم الحديث واسعًا ، فقد صنف في الأحاديث الموضوعة : كتابه المنار المنيف ، وفي لشروح الحديثية : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة .

ومن كتب الحديث كتابه الجامع بين السنن والآثار ، كما ذكره في كتابه بدائع الفوائد ، وكان الإمام ابن القيم ناقدًا للحديث ، مقدمًا في تمييز المتون ، ولعل كتابه المنار المنيف شاهد على ذلك ؛ إذ هو حلاصة منهجية لما كتب في الموضوعات من قبله ، فجمع الإمام ابن القيم أسباب رد المتن ، ودلائل تضعيفه بغض النظر عن حال الإسناد ، ولعل ذلك الكتاب اختصار لكتاب الموضوعات لابن الجوزي فأحسن ابن القيم وأجاد ، واستخلص في هذا الكتاب أركان كتاب ابن الجوزي بضوابط وكليات وأمارات تدل على الحديث الموضوع[٣] .

- **الاتجاه النظري لنقد المتن عند ابن القيم :**

الإمام ابن القيم رحمه الله له نظرات نقدية في الحديث الشريف ، وذلك يشمل الجانب النظري والجانب العملي ، فمن آر ء النظرية :

---

(١) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢) ، وابن حجر ، البدر الطالع (١٤٣/١) ، بكر أبو زيد ، ابن القيم الجوزية ص٥١-٥٣ .

(٢) بكر أبو زيد ، ابن قيم الجوزية ص٧٣-١٢٠ .

(٣) عبد الفتاح أبو غدة ، تقدمة التحقيق لكتاب المنار المنيف ص١١ ، ١٢ .

١- معرفة الحديث الموضوع دون النظر إلى الإسناد :

قال ابن القيم : « إنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بلحمه ودمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر به ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ويشرعه للأمة ؛ بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه ، فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز ... وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فإن للأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها ، والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح وما ليس لمن لا يكون كذلك »[١].

٢- أمارة الحديث الموضوع :

قال ابن القيم : « والأحاديث الموضوعة عليها ظلمة وركاكة ، ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله ﷺ »[٢].

٣- مكانة الصحيحين :

قال ابن القيم : « واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم مما تلقته الأمة بالقبول ، كما ذكره الشيخ أبو عمرو ، ومن قبله من العلماء ، كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره . فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماءه بالقبول والتصديق ، فهو محصل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فإن الاعتبار في الإجماع في كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم . . . لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله »[٣].

ودفع ابن القيم شبهة وجود حديث موضوع في الصحيحين أو أحدهما فقال : « القول بأن في صحيح مسلم حديثًا موضوعًا مما ليس يسهل »[٤].

---

(١) ابن القيم ، المنار المنيف ص٤٣ ، ٤٤ .
(٢) المصدر السابق ص٥٠ .
(٣) ابن القيم ، مختصر الصواعق المرسلة ، ص٥٣٧ .
(٤) ابن القيم ، حلاء الأفهام ص٣٦٨ .

وأكد ابن القيم أن عدم إخراج الحديث في الصحيحين أو أحدهما ليس دليلاً على ضعفه ، فالشيخان لم يستوعبا الصحيح في كتابيهما ، ولم يذكرا ذلك ، لذا فلا ينبغي نقد الحديث بمجرد كونه لم يرو في الصحيحين أو أحدهما ، قال ابن القيم : « ترك إخراج أصحاب الصحيح له ـ أي الحديث ـ لا يدل على ضعفه كغيره من الأحاديث الصحيحة التي تركا إخراجها »[١].

وقال في موضع آخر : « هل قال البخاري قط : إن كل حديث لم أدخله في كتابي فهو باطل ، أو ليس بحجة أو ضعيف؟! وكم قد احتج البخاري بأحاديث خارج الصحيح ليس لها ذكر في صحيحه ، وكم صحح من حديث خارج عن صحيحه »[٢].

٤- دلائل معرفة الحديث الموضوع :

بين الحافظ ابن القيم أن هناك دلائل يتعرف بها النقاد على كون الحديث موضوعًا دون النظر إلى إسناده ، وقد نبه على ذلك في كتابه المنار المنيف ، منبهًا على أمورٍ كلية لبيان ذلك ، وذكر أمثلة لذلك ، فمنه :

١- اشتماله على المجازفات التي لا يقول مثلها رسول الله : وذكر من ذلك : « من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة . . . » ، ثم قال :« وأمثال هذه المجازفات الباردة لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين : إما أن يكون في غاية الجهل والحمق ، وإما أن يكون زنديقًا »[٣].

٢- تكذيب الحس له : وذكر من ذلك : « الباذنجان شفاء من كل داء » ، ثم قال : « ولو أكل الباذنجان للحمى والسوداء الغالبة وكثير من الأمراض ، لم يزدها إلا شدة ، وهذا لو قاله يوحنس ، أمهر الأطباء ، لسخروا منه »[٤].

---

(١) ابن القيم ، الفروسية ص٢١٨ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد (٥/٢٦٤ ، ٢٦٥).
(٣) ابن القيم ، المنار المنيف ص٥٠ .
(٤) المصدر السابق ص٥١ .

٣- سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه : وذكر من ذلك : « لو كان الأرز رجلاً لكان حليمًا ، ما أكله جائع إلا أشبعه » ، قال ابن القيم : « هذا من السمج البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء ، فضلاً عن كلام سيد الأنبياء »[١].

٤- خلاف الحديث لما جاءت به السنة الصريحة : قال ابن القيم : « فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عبث أو مدح باطل ، أو ذم حق أو نحو ذلك ، فرسول الله ﷺ منه بريء »[٢].

٥- ادعاء أن النبي ﷺ فعل أمرًا ظاهرًا بمحضر الصحابة كلهم ، وأنهم اتفقوا على كتمانه : قال ابن القيم : « كما يزعم أكذب الطوائف أنه ﷺ أخذ بيد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم . . . ثم قال: **هذا وصيي وأخي، والخليفة من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا** ، ثم اتفق الكل على كتمان ذلك »[٣].

٦- أن يكون الحديث باطلاً في نفسه : ومن ذلك : « إذا غضب الله تعالى أنزل الوحي بالفارسية ، وإذا رضي أنزله بالعربية »[٤].

٧- ألا يشبه كلام الأنبياء فضلاً عن كلام رسول الله ﷺ . . بل لا يشبه كلام الصحابة : ومن ذلك : « ثلاثة تزيد في البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجاري ، والوجه الحسن » ، قال ابن القيم : « هذا الكلام مما يجل عنه أبو هريرة وابن عباس ، بل وسعيد بن المسيب والحسن ، بل أحمد ومالك رحمهم الله »[٥].

٨- أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا : ومنه : « إذا انكسف القمر في المحرم يكون الغلاء »[٦].

٩- أن يشبه وصف الأطباء والطرقية : ومن ذلك : « الهريسة تشد الظهر »[٧].

١٠- أحاديث العقل كلها كذب : ومنها : « ما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك ، بك آخذ ، وبك أعطي »[٨].

---

(١) ابن القيم ، المنار المنيف ص٥٤ .
(٢) المصدر السابق ص٥٦ ، ٥٧ .
(٣) المصدر السابق ص٥٧ ، ٥٨ .
(٤) المصدر السابق ص٥٩ .
(٥) المصدر السابق ص٦١ ، ٦٢ .
(٦) المصدر السابق ص٦٣ ، ٦٤ .
(٧) المصدر السابق ص٦٤ .
(٨) المصدر السابق ص٦٦ .

١١- الأحاديث التي يُذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب : ومنه : « يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل والخضر » ، وذكر ابن القيم دلائل ذلك من المنقول والمعقول ، ونقل في ذلك عن الحربي والبخاري وابن الجوزي وابن تيمية استحالة ذلك[١].

١٢- أن تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه : ومن ذلك حديث عوج بن عنق وأن طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ، وأنه يأخذ الحوت من قرار البحر ، ويشويه في عين الشمس ، وأنه بقي حيًّا بعد نوح » ، قال ابن القيم : « هذا مخالف للقرآن والسنة »[٢].

١٣- مخالفة صريح القرآن : ومن ذلك : « مقدار الدنيا سبعة آلاف سنة ، ونحن في الألف السابعة » ، قال ابن القيم : « وهذا من أبين الكذب ؛ لأنه لو كان صحيحًا لكان كل أحد عالمًا أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا مائتان وأحد وخمسون سنة والله تعالى يقول : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾[٣] (الأعراف:١٨٧).

١٤- أحاديث صلاة الرغائب : ومنه : « لا تغفلوا عن أول جمعة من رجب ، فإنها ليلة تسميها الملائكة الرغائب »[٤].

١٥- أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان : ومنه : « يا علي من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف قل هو الله أحد : قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة . . . وأُعطي سبعين ألف حوراء . . . » ، قال ابن قيم : « والعجب ممن شم رائحة العلم بالسنن أن يغتر بمثل هذا الهذيان ويصليها »[٥].

١٦- ركاكة اللفظ وسماجته بحيث يمجها السمع ويدفعها الطبع ويسمج معناها للنطق : ومن ذلك : « أربع لا تشبع من أربع : أنثى من ذكر ، وأرض من مطر ، وعين من نظر ، وأذن من خبر »[٦].

---

(١) ابن القيم ، المنار المنيف ص٦٧-٧٦ .
(٢) المصدر السابق ص٧٦ ، ٧٧ .
(٣) المصدر السابق ص٨٠ .
(٤) المصدر السابق ص٩٥ .
(٥) المصدر السابق ص٩٨ ، ٩٩ .
(٦) المصدر السابق ص٩٩ ، ١٠٠ .

١٧- أحاديث ذم الحبشة والسودان : ومنه : « إنما الأسود لبطنه وفرجه »[١].

١٨- أحاديث ذم الترك والخصيان والمماليك : ومن ذلك : « لو علم الله في الخصيان خيراً لأخرج من أصلابهم ذرية »[٢].

١٩- ما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل : وذكر حديث وضع الجزية عن يهود خيبر ، ثم انتقده من عشرة أوجه :

١- شهادة سعد بن معاذ ، وكان قد توفي في غزوة الخندق .

٢- كتابة معاوية ، وما أسلم إلا زمن الفتح .

٣- لم تكن الجزية نزلت بعد .

٤- فيها وضع الكلف والسخر ، ولم يكن في زمانه كلف أو سخر .

٥- كيف يضع الجزية عنهم ، ولم يجعل لهم عهدًا لازمًا ؛ بل قال : نقركم ما شئنا .

٦- كيف ينفرد بنقله اليهود .

٧- لم يتقدم من أهل خيبر من الإحسان ما يوجب لهم ذلك .

٨- كيف يسقطها النبي ﷺ عن أعدائه،ولم يسقطها عمن لا عداوة بينه وبينهم.

٩- لو وضع الجزية عنهم ، لم يشترط إخراجهم متى شاء .

١٠- خلاف الصحابة والتابعين والفقهاء له[٣].

٢٠- أحاديث لم يصح منها شيء : ومن ذلك أحاديث الدجاج ، وأحاديث ذم الأولاد ، وأحاديث التواريخ المستقبلة ، وأحاديث التوسعة والصلاة يوم عاشوراء ، وأحاديث فضائل السور ، وبعض أحاديث الفضائل ، وأحاديث التنشيف بعد الوضوء ، وأحاديث الذكر على أعضاء الوضوء ، وأحاديث اتخاذ السراري ، وأحاديث فضائل الحناء ، وأحاديث اللعب بالشطرنج ، وأحاديث الأبدال والأقطاب ، والأغواث ، والنقباء والنجباء ، والأوتاد ، كلها باطلة عن رسول الله ﷺ[٤].

(١،٢) ابن القيم ، المنار المنيف ص١٠١ .

(٣) المصدر السابق ص١٠٢-١٠٤ .

(٤) المصدر السابق ص١٠٦-١٣٦ .

● **النقد السلبي للمتون عند الإمام ابن القيم :**

انتقد الحافظ ابن القيم رحمه الله متن الحديث إذا خالف الصحيح الثابت ، واقترن به دلائل التضعيف أو الوضع ، أو الخطأ والوهم .

ومن ذلك رواية مسلم رحمه الله في وصف السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : «لا يكتوون ولا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون» .

وقد انتقد ابن القيم لفظ «لا يرقون» وعده وهمًا ، ونقل ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١] ، وعلل ابن القيم نقده لذلك اللفظ بأن الراقي محسن بخلاف المسترقي الذي يطلب الإحسان ، وينصرف قلبه من المسبب إلى الأسباب .

قال ابن القيم : «والراقي متصدق محسن ، والمسترقي سائل ، والنبي ﷺ رقى ولم يسترقِ ، وقال : **من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه**»[٢].

وقال في موضع آخر : «والنبي ﷺ لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سببًا للسبق إلى الجنان ، وهذا بخلاف ترك الاسترقاء ، فإنه توكل على الله ، ورغبة عن سؤال غيره ، ورضاء بما قضاه»[٣] ، وقال أيضًا : «فالتوكل ينافي التطير ، أما رقية الغير ، فهي إحسان الرقي . . . وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله ، فالراقي محسن ، والمسترقي سائل راجٍ نفع الغير ، وتحقيق التوكل ينافي ذلك»[٤].

ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين : «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرلاً محجلين من أثر الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» .

قال ابن القيم : «أما قوله : فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل ، فهذه الزيادة مدرجة من كلام أبي هريرة ، لا من كلام النبي ﷺ ، بيَّن ذلك غير واحد من الحفاظ» ، ونقل عن ابن تيمية أن الغرة لا تكون إلا في الوجه وإطالتها غير ممكنة ؛ إذ تدخل في الرأس ، فلا تسمى تلك غرة»[٥].

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى (٣٢٨/١).
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد (٤٩٥/١ ، ٤٩٦).
(٣) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة (٢٧٩/٣ ، ٢٨٠).
(٤) ابن القيم ، حادي الأرواح ص٢٢٣ .
(٥) المصدر السابق ص٣٤٤ .

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « تزوج رسول الله ﷺ ميمونة ، وهو محرم » وعارضه أبو رافع فقال : « تزوجها حلالاً ، وكنت الرسول بينهما » .

رجح ابن القيم حديث أبي رافع للأسباب الآتية :

١- كان أبو رافع إذ ذاك رجلاً بالغًا ، وابن عباس لم يكن قد بلغ الحلم .

٢- كان أبو رافع الرسول بينهما ، فقد باشر الأمر بنفسه ولم يخبره أحد .

٣- لم يكن ابن عباس شاهدًا لذلك ، وإنما سمعها من غير حضور لها .

٤- أن الصحابة رضي الله عنهم خطأوا ابن عباس ولم يوهموا أبا رافع .

٥- أن قول أبي رافع موافق لنهي النبي ﷺ عن نكاح المحرم . . . [(١)] .

ومن ذلك حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل عن ابن عباس : « **كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي ﷺ : يا نبي الله ثلاث أعطينيهن ، قال : نعم . . .** » الحديث ، وفيه ذكر تزويج أم حبيبة واستكتاب معاوية وتأمير أبي سفيان في الحروب .

وقد سبق دراسة ذلك الحديث ، وإنما أعتني الآن بقول ابن القيم حيث رد على من صحح تلك الرواية ، وعمدة من تكلف تصحيحها :

١- أن المراد بابنته عزة ، لا أم حبيبة ، فوهم بعض الرواة ، قال ابن القيم : « يرد هذا أن النبي ﷺ قال : نعم ، وأجابه إلى ما سأل ، فلو كان المسئول أن يزوجه أختها لقال : إنها لا تحل لي ، كما قال لأم حبيبة » .

٢- من قال أن زواجها كان بعد الفتح ، ورد ذلك ابن القيم بأن زواجه ﷺ بأم حبيبة ، وهي بأرض الحبشة ، جرى مجرى التواتر ، كما أن أبا سفيان لما قدم المدينة لتجديد الصلح مع المسلمين دخل على ابنته أم حبيبة ، فطوت فراش رسول الله ﷺ عنه .

٣- من قال أن ذلك قاله أبو سفيان وهو كافر في بعض خرجاته إلى المدينة لما سمع بنعي زوج ابنته بالحبشة ، قال ابن القيم : « هذا ضعيف جدًا ، فإن أبا سفيان إنما قدم المدينة آمنًا بعد الهجرة في زمن الهدنة قبل الفتح ... وأيضًا ، فإنه لا يصح أن يكون تزويجه إياها في حال كفره ؛ إذ لا ولاية عليها » .

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد (٥/١١٢ ، ١١٣).

٤- أن معنى «أزوجكها» : أرضى بزواجك بها ، فإنه كان على رغم مني ، وبدون اختياري . ورأى ابن القيم أن ذلك تأويل بعيد من اللفظ لا يفهم منه ، فإن قوله : «عندي أجمل العرب أزوجكها» لا يفهم منه أن زوجتك التي في عصمة نكاحك أرضى زواجك بها ، ورآها من التأويلات المستنكرة التي يتنافر لفظها مع مقصود الكلام .

٥- أن ذلك كان قبل إسلام أبي سفيان بمدة على سبيل الشرط والمعاوضة ، قال ابن القيم : «هذا يكون صدر منه وهو بمكة قبل الهجرة ، أو بعد الهجرة ، وهو مجمع الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ . . . وكيف يقول وهو كافر : حتى أقاتل المشركين كما كنت أقاتل المسلمين؟ وكيف ينكر جفوة المسلمين له وهو جاهد في قتالهم وحربهم» .

وأعلن ابن القيم رأيه في ذلك المتن قائلاً :

«وبالجملة فهذه الوجوه وأمثالها مما يعلم بطلانها واستنكارها وغثاثتها . . . فالصواب أن الحديث غير محفوظ»[(١)].

ومن ذلك حديث بريدة «أن ماعزًا الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله طهرني ، فرده ، فلما كان من الغد أتاه . . . فلما كان الرابعة حفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم» ، ذكر ابن القيم رواية الحفر له وأنها في صحيح مسلم ثم قال : «وهي غلط من رواية بشير بن المهاجر ، وإن كان مسلم قد روى له في الصحيح ، فالثقة قد يغلط . . . وإنما حصل إليهم من حفرة الغامدية ، فسرى إلى معاذ والله أعلم»[(٢)].

وذكر أن رواية بريدة خالفت سائر الروايات في الحفر بينما الروايات الأخرى أنه هرب وتبعوه ، وكذلك جاءت الرواية بأن ذلك في مجالس متعددة وسائر الروايات تدل على أن ذلك في مجلس واحد[(٣)].

---

(١) ابن القيم ، جلاء الأفهام ص٣٥٧-٣٧١ . (٢) ابن القيم ، أعلام الموقعين (٤/٤٤٨).
(٣) ابن القيم ، تهذيب سنن أبي داود (٦/٢٥١).

ومن ذلك حديث « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ... وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة ... ».

قال ابن القيم : « وقع الغلط في رفعه ، وإنما هو من قول كعب الأحبار ، كذلك قال إمام الصنعة محمد بن إسماعيل البخاري ... وقاله غيره من علماء المسلمين أيضًا وهو كما قالوا ؛ لأن الله أثبت أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام »[١].

ومن ذلك حديث ثوبان ﷺ قال : « كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود . . . قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : **ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله . . .** » الحديث .

قال ابن القيم : « على أن في النفس من حديث ثوبان ما فيها ، وأنه يخاف أن لا يكون أحد رواته حفظه كما ينبغي ، وأن يكون السؤال إنما وقع فيه عن الشَّبَه لا عن الإذكار والإيناث ، كما سأل عنه عبد الله بن سلام ، ولذلك لم يخرجه البخاري »[٢].

ومن ذلك تغليط الإمام ابن القيم حديث شريك في الإسراء ، فقال : « وقد غَلَّط الحفاظ شريكًا في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، فأجاد رحمه الله » ، وعنف ابن القيم من يقول بتعدد الإسراءات ووصف صنيعهم بأنه خبط وقال : « هذه طريقة الضعفاء الظاهرية من أرباب النقل ، كلما اختلف عليهم الروايات عددوا الوقائع »[٣].

وكذلك وهم ابن القيم الرواة في بعض ألفاظ حديث الإفك ، ومن ذلك قول علي ﷺ : « وسل الجارية تخبرك ، فقال رسول الله ﷺ : **أي بريرة** » ، فقد طرق ابن القيم احتمال الوهم على أحد الرواة في تسمية الجارية بريرة ، واستدل بأن

---

(١) ابن القيم ، المنار المنيف ص٨٥ ، ٨٦ .
(٢) ابن القيم ، تحفة المودود ص٢٢٣.
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد (٣/٤٢).

عليًا ﷺ لم يقل : سل بريرة ، وإنما قال : سل الجارية ، فظن بعض الرواة أنها بريرة ، فسماها بذلك»[١].

وفي حديث الإفك أيضًا ، قال رسول الله ﷺ : «**يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي** ، فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال : أنا يا رسول الله أعذرك ، فقام سعد بن عبادة ، فوقع بينهما ملاحاة شديدة . . . » الحديث .

قال ابن القيم : «وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم ، فإن سعد بن معاذ ، لا يختلف أحد من أهل العلم أنه توفي عقب حكمه في بني قريظة عقيب الخندق ، وذلك سنة خمس على الصحيح ، وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق هذه . . . والجمهور على أنها بعد الخندق سنة ست»[٢].

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد (٢/١١٦).

(٢) السابق (٢/١١٥) ، وانظر : سلطان العكايلة ، نقد الحديث الشريف بالعرض على الوقائع التاريخية .

obeikan.com